

مَجَالِي الْأَدَبِ

في الأدب العربي

حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عُنيَ بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع



طبعة خامسة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٥

بيروت معارف هيتي طرفدن نشرينه رخصت النمشدور

حقوق طبعه محفوظه للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي التَّدِينِ

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَضْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْتِقَالِ . تَلَّاتُ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبْرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الایمحي للہر جانی)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبْرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَفَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّ وَالْمَكَانِ . وَفَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ .
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَمُحَرِّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدَبَّرَاتِ . وَمُزَيِّنَهَا بِالنُّجُومِ .
الْقَوَائِمِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمُقَرِّرَ الْأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرْحَمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرُمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقزويني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عِشْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْأَبَدِيُّ بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدًا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِكَلَمٍ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْقَتَهَا قَدِيمٌ فَأَنشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَانَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةٌ تَحْوِي إِلَّا إِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَجَّدَا
إِذَا الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حِلَّ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ أَلَمَزَ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْبَةٌ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ فَذَلِكَ زَنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَأَكْبَنَ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ تَرْوِيهِ مُسْنَدًا
رُويَ أَنَّ الزُّنْخَشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:
الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَنْفَعُهُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَتُرْكِي أَلْبَحْثَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ

ثُمَّ سِرُّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ تَذَرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 لَا وَلَا تَذَرِي صِفَاتِ رُكَبَتِ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 أَنْتَ أَكْلَ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوُولِ
 فَإِذَا كُنْتَ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 كَيْفَ تَذَرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولِ
 فَهُوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحُولِ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالَا وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَائِلُ وَضَحَ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 أَحَدُثَ الْخَلْقِ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَرِيٌّ وَوَعُودٌ تَجْمُولَةٌ وَسَهُولُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَائِخَاتٌ وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسُيُولُ
 وَرِيَّاحٌ يَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَسَحَابٌ يَسْقِي الْجِبَاهَاتِ ثَقِيلُ
 وَدَرَارٍ بَكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومٌ طَوَالِجُ وَأَفُولُ
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَائِرُ فِيهَا وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الدُّهُولِ ذُهُولُ

فَالْسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرُّ سِي وَأُلْحَبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُمَسِّكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَمُخَيِّ السُّحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سِرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عِلَاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانُ يَخْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَلَهُ الْعِزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
 أَفْتَبَرَهُ الْبَرَايَا فَهُمْ فِي رَحْمَةِ ظَاهِمَا عَلَيْهِمْ ظَالِمُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعَمَ الْوَكِيلُ
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصِلْنِي وَأَنْبِيَّ إِنَّ الْكَرِيمَ يُنِيلُ
 وَأَجِرْنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَاقْتَضِنِي بِرَحْمَةٍ وَأَفَانِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظَامَا قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرُ زَاخِرٌ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَا فَيْكَ وَالرِّضَا مِنْكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجَّةٌ مِنْ مَتْنِ بَدْءِ الْأَمَالِي فِي التَّوْحِيدِ

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَاللَّالِي
 إِلَاهُ الْخَاقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 تُسَمِّي اللَّهُ شَيْئًا لَا كَأَلْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى
 وَمَا إِنْ جَوهرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمُضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٍ وَنَعْمَى
 وَلَا يَفْنَى الْحَجِيمُ وَلَا الْجِنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بغيرِ كَيْفٍ
 فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَدِيمَاتُ الْمَصُونَاتِ الزَّوَالِ
 وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السِّتِ خَالِ
 لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
 وَلَا كُلُّ وَبَعْضٌ ذُو اشْتِمَالِ
 بِلا وَصْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ
 فَصْنٌ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافِ الْأَهَالِي
 وَأَحْوَالِ وَأَزْمَانِ بِحَالِ
 تَفَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي
 فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ
 وَلِلْكَفَّارِ إِذْرَاكَ النَّكَالِ
 وَلَا أَهْلُوهَا أَهْلُ انْتِقَالِ
 وَإِذْرَاكَ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
 فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

٧

أَغِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانِ
 وَأَنْزِلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالِ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمَ لِلَّهِ مِنْ تَذْيِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 بَلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجُورِ وَالْجَارِ الْمُرِيبِ
 طَوْتُهُ عَنْ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبِ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ عُسْرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابُ
كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بِرُحْمَةٍ لَطِيفٍ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
وَأَمْرِضْنِي أَلْهَوِي لِهَوَانِ حَظِي
وَعَانِدْنِي الزَّمَانَ وَقَلِّ صَبْرِي
وَعَدِّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدْوِي
وَأَنسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكْكِنِي نَبْذَتْ زِمَامِ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي
إِلَهِمِّي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي
وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يَخْفِي عِنَادَا
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّعِ الْهُوَى مُسْتَضَعِفِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْمَى
فَيَادِيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجُ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفَرُّجٍ نَائِبَةٍ تُوبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
رَحِيمٌ غَمٍّ رَحْمَتُهُ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثِي الذُّرُوبُ
وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَبِيبُ
وَضَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ تَذِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهَلًا أُنِيبُ
فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَضَمْتَ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْفُؤَادِ لَهَا دَيْبُ
إِيَّائِي وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَقَوْلَ نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنِ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَالِمِهِ غُرُوبُ
وَأَلْهِمْنِي لِدُكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِدُكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الالتئال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَتَضَلَّ إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمَلَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَعَزَّزُهَا وَذَلَّلَهَا وَغَنِيَهَا وَقَفِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرُّهُمْ بِغِيَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعِيُونُ تَرَاهُ
حُجَّتُهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ قُدُونُهُ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتُخْرَسُ الْأَفْوَاهُ
صَمَدٌ بَلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
شَهِدَتْ غُرَائِبُ صُنْعِهِ بِوُجُودِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
وَالِيهِ أَذْغَنْتِ الْعُقُولُ فَا مَنَتْ بِالْغَيْبِ تَوَثَّرُ حَيْثَا إِيَّاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ وَلَهُ سَجُودُ أَوَّجَةٍ وَجِبَاهُ
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلِّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَاهُ
 أَبَدَى يُجْحِكُكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بِسِيطِ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثْنَا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبِّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَضَرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجَلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَاقَاهُ
 فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ فَادْعُ الْإِلَاهَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
 لَا تُحْسِنُ الظَّنَّ الْجَمِيلَ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
 وَلِجَلَمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى عَبْدٍ عَمَى مَوْلَاهُ
 يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

ولله عني في حمد الله

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُتَوَجِّبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ قَانَ لِدَائِمٍ
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحٌ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْعِظَائِمِ
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَاقَالَةَ الْأَصْحَابِ وَالْحَبِ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُخْصِي الْأَوْرَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصِي
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبٍ مِنْ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمِيرُ النَّاهِي الْمُدَبِّرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفٌ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَغْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْسَتْ تُوبَةُ الرِّجَاءِ وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
قُلْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَقُتْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
أَتْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَتْنِي عَلَيَّ مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَجَبِّ فِي غَيْبِكَ أَا أَحْمِي مَنِيْعُ فِي عِلَائِكَ
وَضَهَرَتْ بِالْآثَارِ وَأَا أَفْعَالِ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤِكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورِكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا أَلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشِعَّةَ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْجِعٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوُجْهَتُهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى تَخَائِكَ
فَانْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْثُ بِكَ عَائِدَاتِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَذَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أَمْتَحَانِكَ وَأَبْتِلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَا أَمَكَانٍ صَدًّا عَنْ فَنَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرِّ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أَرْعَوَى أَوْكَادَنَا دَثَّهُ الْقُبُودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالطُّفُ بِهٍ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عَالَمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلُكَ بِهِ سَنَنَ الْهَدَا يَهٍ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ الْإِلَاهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيفُ بِمَا أَرَادَ فَعَالَا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
فَدَعَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَالِبِهِمْ لَهْجًا تُضَعِضُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمَّ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَالزَّمِ الْفَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنَ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَفَةَ
وَدَعَ عَنْكَ قَوْمًا يَعِيبُونَهَا فَفَلَسَفَةُ الْمَرْءِ فَلُ السَّفَةِ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحَمَى وَيَنْزِلُ الرَّكْبُ بِمَعْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمَنِيَّاهُمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حَيَاتِي بِأَيِّ وَجْهِ أَتَلَقَّاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْعَفْوُ شَأْنَهُمْ لَا سِيَّمَا عَمَّنْ تَرْجَاهُمْ

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله

١٥ (مِنْ التَّعْجِيزِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْقَضَائِلِ . مَنَظِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِسَادُ وَمَشْيُهُمْ

أَلْتَوَا ضِعْ غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا
 مُنْغَمَّوْنَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدَرُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسِهِمْ مُتَمَهِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا رُكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَأَجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَحَزْمًا فِي الْإِيمَانِ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 بِمِثْلِ وَهْمِ الشُّكْرِ . وَيُصْبِحُ وَهْمُ الذِّكْرِ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

رَأَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنزُورًا
 أُنْكُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيذًا دِينُهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَنْ ظَلَمِهِ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
 قَطَعَهُ . بَعِيدًا مُخْشَهُ . لَبِنًا قَوْلَهُ . غَائِبًا مُنْكَرَهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُقْبِلًا
 خَيْرَهُ . مُذِيرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَازِرُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُصْ صَمْتَهُ . وَإِنْ
 ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ
 وَأَرَادَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَنْ تَبَاعُدٍ عَنْهُ زَهْدٌ وَزَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دَنَايَةٍ لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٌ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَقَصَّتْ عَيْشِي الْهُمُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءِ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَأَلَا نَحَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَزُودُ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْمَذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي النَّفْسِ مِنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْعَجُ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
لَا أَتَّهِي عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصَلِّي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْمَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ أَمْوَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْتَضِي مَالَكَ الْغَرِيمُ
وَتَقْتَضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوَةٌ تَشِي خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
يَا وَاسِعَ الْأُطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمُشْفِقُ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوَاءٍ فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
وَسَامِحِ الْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْأُمْنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعِظَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْأَعْمَلِ . وَيَرْجِي الثَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاغِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنَعٌ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْتَلِ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ أَكْثَرَ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنَ
 لَاهِيًا . يُغْجِبُ نَفْسَهُ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذْنٍ مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرِيقٍ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَطَعَ وَوَهِنَ .
 يَقْصِرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمَعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مَخْنَةُ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعِظُ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ أَعْمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْفَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْطِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكَثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَخْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
 الْأَغْنَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُنَوِّي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيُعَصَى .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّعْجِيزِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِمَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِبَصِيرٍ وَعِبْرَةً لِنَاطِرٍ مُفَكِّرٍ
 (لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنْ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٌ طَائِلَةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ وَبَاخٌ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا إِلَيَّ أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةٌ بِوَرْدٍ
نَثِيرٍ . فَقَعَلَ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بَقِعَ وَرْدَةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقِمَعِ مِنَ الْخِدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ قِطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشِيَتِكَ
وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَقْدِكَ ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْسًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمُّ الْجَنْدَلِ
فَأَمَهْدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَسُدَّ مِنْ غَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَأَنْتَبَهْتُ مَرْغُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستطوف المستظرف للابشيحي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنْتَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى قِيمَ ثَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَبْقَى وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَوْ أَعْلَى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لِيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جَبْرِ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْمُخْتَوِّمْ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَحْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذَبُّيرًا لِعَاقِبَتِهِ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ نَفْعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْجَرُ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزاهدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَيْتَهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتْ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتْ الْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ نَحَبَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ فِي الْخُلُواتِ .
 وَلِعَظَمَتِكَ سَجَّتِ النَّيَّانُ فِي الْبَحَارِ الزَّاخِرَاتِ . وَلِجَلَالِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
 وَضُوءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدُّوَارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَّارُ . وَالْقَمَرُ النَّوَّارُ وَالنَّجْمُ
 الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَمَلِيُّ الْأَهْوَارِ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :
 يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُواتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ السُّزَالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالُ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِي مِنِ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَيْنِي . ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرَفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَحِبُّكَ حُبِّينِ حُبُّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لِذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ يِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشَفْتُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبقاعي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَانٌ . وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعَيْنَانِ . تَدْعُوكَ

فَتَسْتَجِيبُ . وَتَرْجُرُهَا فَتَنْجِيبُ . نَاقِضَةٌ لِلْعَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِلْمُعْطِيَةِ . كُلُّ مَنْ فِيهَا يَجْرِي . إِلَى مَا لَا يَذَرِي . وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصِّقْلِيُّ :

وَلَا يَفْرُزُكَ مِنْهَا حُسْنُ بَرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَائِمٍ مِثْلَهُ :

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ
فَلَا تَعْمُرُنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْخَرَابَ لَمَّا تَعْمُرُ
وَلَا تَذَخَّرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذَخَّرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْبَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْكَافِرُ وَالْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ السَّخَسْرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فُخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمُّهُمْ الْخُسْرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَأَنَّا خَيْرٌ مِمَّا يُذْخَرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّنْفِيجِ .) وَأَتَمُّوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَأَتَّبِعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صٰحِحِينَ فَإِنَّهُمْ قَوْمًا يَعْلَمُونَ .
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ لَجْدِيرَةٌ بِقِصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَايَةً يَخْذُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَثْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوْدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ نُفُوسَكُمْ غَدًا . فَأَتَقِيَ عَبْدٌ
 مِنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْدَعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ بِذُنُوبِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةُ لِيَرْكَبَهَا . وَيُعِينُهُ التَّوْبَةُ
 لِيُسَوِّفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَالَهَا حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَّأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً . وَلَا تُحْلِلُ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا
 كَابَةً

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودِعُ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّهَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا نَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُتْنَا فَأَلْقِيَامَةُ نَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَ رَبِّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِنَعِيرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِنَعِيرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا حَالَةَ مَضْرَعٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرَهُ مَتَى تَنْصِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوكٌ مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشْتَ مَقْصُولُ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُثْقِلْ رِعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعِيتَ مَسْئُولُ
إِنِّي لَهِيَ مَنَزَلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَنْقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا وَكَلْنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
كُلُّ مَا بَدَا لَكَ فَالْآكَالُ قَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا تُؤَلُّ

٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةٍ أَلَا كَاسِرَةٌ لِآلِ الْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلِ الْخُوزَنَقِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَا الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادِ

٢٦ وَمِنْ رَقِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرِّجَالِ
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
 تَمَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ الْأَسْيَابِ تَصَرُّفُهُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالِ
 فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي وَمَالِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَالِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتِبَارُ وَمَا لَأَقْوَاهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
 كَأَنِّي بِالْمَنِيَّةِ أَرْعَجْتَنِي وَنَمَشِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالِ
 وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَكِينٌ بَعْدِي كَأَنَّ قُلُوبَهُنَّ عَلَى الْمَقَالِ
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ اللَّيَالِ
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا أُرْتِفَاعٌ وَانْحِدَارُ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عِلْيَانِهَا إِذْ هَوَى فِي هَوَاةٍ مِنْهَا فَنَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا يَغْيِرُ وَفَاقِي
 تَجْبِي وَتَمْضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ وَتَفْنِي جَمِيعًا وَالْمُحَرِّكُ بَاقِي
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ حَمَلْتَ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَيَنْقُبُهَا الْأَخْزَانُ وَالْأَلْهَمُ وَالنَّدَمُ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالْتِقَى وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ
٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفُودِهِ وَالْقَيْتُ عَنْ غَيْبِهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَذْلُكَ أَنْ أَضَالْتَ رُشْدَكَ خَاطِئًا وَلَيْلُ الشَّبَابِ الْوَحْفِ دَاجٍ فَمُعْذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِ الْكُهُولَةِ عَازِرُ إِذَا زِغْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْكَ مُقَمِّرُ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبُنْيَانِ أَنْسَيْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيوَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَّسَاكِرُ وَالْبِنَا وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَنْوِشِرَوَانِ
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا بِيَدِ الْبَيْلِ وَأَنَا مِلَ الْجِدْثَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الصُّبُورَ فَزَادَتْهَا فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْمَذْكِيُّ إِذَا مَا أَفْتَحَرَ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرِ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرُ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تُرُوحُ وَتَتَغَدُّو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُحَى مُحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
 ٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرِّيِّ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِينًا وَنَطْوِينَهَا
 كُمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَ بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَتَبِكِيهَا
 وَلِلْخُتُوفِ تَرْبِي كُلِّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
 لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُشَى وَهِيَ سَائِلَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
 أَمْوَالَنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ تَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَذِيرُهَا
 ٣١ وَلَا بِي الْعَتَاهِيَّةُ:

خَانَكَ الطَّرْفُ الطُّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُبُوحُ
 لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَدْنُو وَرُوحُ
 هَلْ لِمَطْلُوبٍ يَذْنِبُ قُوَّةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ فُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ قُوَّتَيْهِ قُضُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوَيْتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلِ صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتَ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضِ عَلَى قَوْمِ قُتُوحُ
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَإِذَا مَوْتُ يَفْدُو وَيُدْوَحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رُحْنٌ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ اللَّهِ رِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمِرْتَ مَا عُمِرَ نُوحُ

٣٢ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي اغْتِرَابٍ وَرَحِيلٍ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آتَى أَنْ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَتَرَى يُسْتَذْرَكُ الْفَا رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخَرُ :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانِي وَلَوْ أَنَّكَ حَالِكُ
 لَمْ تَذَرِ نَفْسُكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكُ

لَجَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكِ

قَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّ وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّ
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّ
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِّي فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبِرَا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُثْبَاكَ خَانَتْكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِذَاكَ طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ فَصْدُكَ شَرَفًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفُرَاتِ أَلْبَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مُوثِقٍ بِالْمَنَآيَا لَا فَكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدِّمَاءَ عَلَى الْفِيْلَةِ بَاكِ
أَظُنُّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمْتِينَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنَا وَتَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحُسْنَا
أَيْنَ الْأَحِبَّةُ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنَا

حَسْبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَهْلَهُمْ أَلَّا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٣٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّيْطَانِيَّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَمَى لَكَ ظِلُّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَالِكِ الْخُطُوبِ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِيِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَفَنَّى وَتَبَقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ فَمَا شَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا أَبِي الْعَتَاهِيَّةَ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تُحِيفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ :

أَيُّ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ الَّذِي عَمِلُوا عَادُوا رَمِيًّا بِهِ مِنْ بَدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَنَّهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ وَلَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

إِعْمَدْ لِنَفْسِكَ وَادْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقِ خُوفِ الرَّدَى وَأَعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقِبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْظَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعِيهَا
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ بِنَا
يَرَبُّ الْمَرْءِ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَايِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مِنْ يَزُلْ عَنْ حَدِّهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَلَا حِطِّي الْمَنِيَّةَ مِنْ قَرِيبٍ
وَتَنَشَّرْ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّ
وَتَلَحِطْنِي مُلَاحَظَةً الرَّقِيبِ
بِحَظِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيدِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تُلُوحٌ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
أَزَالَ اللَّهُ يَا صَاحِي شَبَابِي فَمَوَّضَتْ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
وَبَدَّلْتُ التَّكَاسُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بِالشُّحُوبِ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا أَصْفَرَارٌ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
قَالَ الْإِلْبِيرِيُّ :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السُّكْرَاتِ تُعَاجِلُ أَنْ تَرُقِيَ إِلَى اللَّهِوَاتِ
وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَأَسْتَقَلْتُ رِكَابِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْعِفَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوائيه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِلاَ وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلَ عَلَى طَفِيهِ خَلْقًا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقًا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقَا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جُرْتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ مُسَلِّمًا جَذَلَانِ لَا يُدْهَى بِخَطْبٍ يُخْزِنُ

أَفَرَطْتُ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْتَصِدْ وَأَعْلَمْ بَأَنِّ مِنَ الْمَنَى مَا يَفْتِنُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ وَمِنَ الْأَحْصَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَعَلَامَ تَرْجُو أَنَّهُ لَا يُذَمِّنُ

٤. قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَعَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَفْطَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَبْشَةٍ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَهِيمَةِ
فَيَا دُرَّةَ بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتِ وَجَوْهَرَةً يَبِيعُ بِالْأَجْسِ قِيمَةً
أَفَانِ بَبَاقٍ تُشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لِمُسْتَهْمٍ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلِفْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورِهَا تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْخُدِيعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِنَ اتِّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَعَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا يَصِيرُ أَلْفَتِي مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ تَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَذَرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تُنْحَنِي غَيْرَ مُجْتَبِ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلِمَ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسُّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَقُلِّ نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةٍ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّتَهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
نُصِي بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسَبِ مَا يُقْضَى الْهَوَى بِالْأَضْيَةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَذَرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ أَتْبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
وَأَخْجَلْتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْخِي لَكَ الْعِنَانُ
لَوْ خَوَّفَتْكَ الْحَجِيمُ بِطْشِي لَشَوَّقَتْ قَلْبَكَ الْجَنَانُ
أَنْتَ شَجَاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصِّلْحُ وَهُوَ يَرِي وَعِنْدَكَ السِّيفُ وَالسِّنَانُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا فِي النَّارِ مَسْجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عُيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَالَا بِرُهُ النَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ بِرِهِ مَكَانُ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهَبِينَ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَغْلِقَ الرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُدْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُدْرِيُّ :
 يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَمْرُورٌ فَأَذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
 تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَذْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
 فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فَيَدْنَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
 وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْبِطٌ إِذْ صَارَ فِي الرِّمَسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
 حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوَهُمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
 يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
 قَالَ آخِرُ :

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُهْجَتِي وَبِهَائِي
 يُبْلِي الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينَهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
 وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سُوءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
 بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعَدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
 وَرَى وَجْهَ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهَا بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
 كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَذْهَبُوا وَكُتُبُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءُ
 ٤٣ قَالَ أَبُو جَنْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى :

يَا مَنْ يَغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِزْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدَبَسَطُوا
 عَوْدَتَهُمْ بِسَطِّ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ تَحْوَهُ أَنْبَسَطُوا
 وَعَدَتْ بِالْمُضِلِّ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ أَنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ أَنْ قَسَطُوا
 عَوَارِفُ أُرْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوَابِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدُ الْكَفِّ أَخْجَلُهُ
يَا وَاسِعَ صَاقِ خَطْوِ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنِّهِمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
تَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَأْقَابُ وَالْهَمَّ عَنْ الْهَوَى
وَأَنْظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُودِعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَتَى
قَالَ بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

تَعَافُ الْقَذَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنَ الْأَكْلِ الطَّعَامِ اللَّهُ
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينِ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَتَرْقُدُ يَا مُسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقٍ وَفِي حَشَوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلْهَبُ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَأْمَبُ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنُمُو بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ بِرَأْسِكَ جَهْرًا وَتَتَلَسَّى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاءِهِ
وَتُشْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُؤْدُ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ الْمَسِيِّ إِشْوُمِ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزَنِ يَكْفِيهِ جَمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعُضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كُتِبَ عَلَى الْقُبُورِ

٤٥ تُوِفِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاتُ :
يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْجِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ
لَوْ تَنَزَّلُونَ بِشُعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُفْرِطَ فِي التَّرَوُّدِ نَادِمُ
لَا تَسْتَغْفِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمُفَرِّقُ هَادِمُ
سَاوَى الرَّدَى مَا يَبْتَنَى فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُخْدِمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ
وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسٌ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا يَأْمَنُ يَعْدُ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ
قَالَ ابْنُ الرِّقَاقِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخَوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمُرُ طَيِّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لَاحِقِي
بِعَيْشِكُمْ أَوْ بِاضْطِجَاعِي فِي التُّرَى أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْأَعْيَاشِ رَاقِبِ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمُضْ بِي مُتَرَجِّمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَفَاءً الْأَصَادِقِ
٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:
سَكَنَتْكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدَّقًا بَأْنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَتَى صَائِرُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمَذْنِبِينَ جَدِيدُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوُكُمْ عَنِّي وَرَحْمَةٌ فَتَمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

حُفِرَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحْيِهِ فَمِنْ حَقِّ مَيْتِ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رَوْعَةً خَائِفٍ لِتَقْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغَيْهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٌ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيٍّ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ الْخَطَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :
 أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا ضَمَنِي وَلَحْدًا عَمِيمًا
 سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتَ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
 نَظَمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى اللَّقْمِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :
 قَبْرُ بِهِ مِنْ أَوْثَقَتِهِ ذُنُوبُهُ وَعَدَا إِسْوَاءِ فِعَالِهِ مَتَخَوِفًا
 قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُّرِ مَا صَفَا
 مَا ذَا طَوَى قَبْرُ اللَّقْمِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْنَحٌ لَعَفْوِ أَسْعَدِ مُصْطَفَى
 ٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَشْرِقَةِ
 وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :
 أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فَرْعِ ذِي يَمِنٍ مَلَكَتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
 جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَجْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
 حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِنٍ
 بِالْخُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ فَايْلَهُمْ ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
 فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ حَتَّى كَانَ مَغَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
 حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
 وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمِلُهُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشِ حَتَّى طَلَبَ لِي وَطَنِي
 جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمٍ بِالْثَمَنِ
 مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً قَطَرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْمِزْ وَلَمْ أَهْنِ
 قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ لِلَّهِ دَرِي مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنٍ

أَبَابُ الثَّالِثِ فِي الْمَرَاتِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا
دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ
رَضِيْعًا . وَقَدْ تُنِكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ
بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْفَضَارَةِ وَرَوْتِ الْحَيَاةِ
وَأَلْتَسَمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَاتًا
سَحِيْقًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ
وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَيْتَنِي بِعَدَاكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
أَسْفَرَلِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمِنْكَ
الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُنْتَمِنِي بِهِ كَثِيرًا
بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكََا . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ
وَعَدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَارْحَمِ اللَّهَ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ
الرِّذْمَ وَوَسَّدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ ارْحَمِ غُرْبَتَهُ وَائْسَ وَحْشَتَهُ وَأَسْرُ
سَوَاءَتِهِ يَوْمَ تُنْكَشِفُ السَّوَاءَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِسَفَرِي
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ يَا الرَّضَا بِرَضَائِي عَنْهُ . ثُمَّ قَالَتْ : أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعُكَ
 فِي أَحْشَائِي جَنِينًا . وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أَنْسَهِنَّ وَأَشَدَّ
 وَحْشَتِهِنَّ . وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ . فَلَمْ تَزَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتُحَوِّهُ حَتَّى أَبْكَتْ كُلَّ مَنْ تَمَعَّهَا . وَحَمِدَتْ اللَّهَ وَعَمِلَتْ
 رَكَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ .

الاحنف بن قيس والرائية

• لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ : اللَّهُ دَرُّكَ مِنْ مُجَنٍّ فِي جَنٍّ . وَمُدْرَجٍ فِي كَفَنٍ . أَسْأَلُ الَّذِي
 فَجَعَلَا بِمَوْتِكَ . وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ . أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ . وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلَكَ . وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ . وَيَنْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ .
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا . وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا . وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوَفِّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ .
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ . وَأَنْتَ أَهْلُ لِحْسَنِ الثَّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ . أَمَّا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ . وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ . وَمِنْ الْمِقْدَارِ إِلَى
 غَايَةٍ . وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ . الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ . لَقَدْ
 عِشْتَ حَمِيدًا مُوَدُّودًا . وَمِتَّ سَعِيدًا مُنْقُودًا . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

لِلَّهِ دَرُّكَ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَعَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرُّكَ أَيُّ حَشْوٍ تَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثْنَا بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
 فَلَكُمْ يَدِ اسْدَيْتَهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرْدُ جَرَاثِرَ الدَّهْرِ
 ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
 أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)
 ٥١ قَالَ أَبُو حَبَالٍ الْبَرَاءُ بْنُ رَبِيعٍ الْقُفَيْسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
 ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذُوَابَةَ قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
 أَوْلَيْكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنَتُهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعُ ثُمَّ إِضْبَعُ
 لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ تَلِيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُتَّجِعُ
 وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَهْدَانُهُ لَمُتَّجِعُ
 ٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
 وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
 فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
 سَأَبُكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَبَضَّ قَحْسُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
 فَمَا أَنَا مِنْ رُزْدٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
 كَانَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاحِ
 لَنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَائِحُ

٥٣ وَقَالَ مَوْلِيكَ الْمَرْمُومُ يَرْثِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أمرز على الجَدث الذي حلت به
 أني حلت وكنت جد فرقة
 صلى عليك الله من مفودة
 فلقد تركت صغيرة مرحومة
 فقدت شمائل من لزامك حلو
 وإذا سمعت أنينها في ليها
 ٥٤ وقال أعرابي يرثي بنيه :

أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا
 فيا ليت من فيها عليها ولت من
 وقاسمني دهرى بني مشاطرا
 فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن
 كأنهم لم يعرف الموت غيرهم
 وقد كنت حي الخوف قبل وفاتهم
 فله ما أعطى والله ما حوى
 رثى ذو الوزارتين ابن عبد البر رجلا مات مجذوما :

مات من كثر زاه أبدا
 كان مثل السيف إلا أنه
 سالم العقل سقيم الجسد
 حسد الدهر عليه فصدي

٥٥ قال ابن عبد ربه يرثي ولدا له :

قصده المنون له فمات قعيدا
 ومضى على صرف الخطوب حميدا

بَابِي وَأَتَى هَالِكًا أَفْرِدُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدًا
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ وَغَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمَاثِرِ سُودًا
لَمْ نُزْزِهِ لَمَّا رُزِينَا وَحْدَهُ وَإِنْ أَسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
لَكِنْ رُزِينَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسُودُ بْنُ يَزِيدَ
وَأَبْنُ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَائِقِ مَعْمَرًا وَأَبْنُ الْمُسَيْبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَخْفَشَيْنِ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَأَبْنُ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدْتَ وَصِيَّةً
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَزِمَّةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مُودُودًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزِيَّةِ وَالِدَا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مُؤَلُودًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقُ فِي الْعَلَى وَالْعِلَامُ ضَمِنَ شِلْوَهُ مَلْحُودًا
يَا مَنْ يُفِيدُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلِّهَا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْهِيدًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةُ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ خُزْنِي بَعْدَهُ لِيَبِيدًا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوَيْتَ مَا ثَرَا أَعْيَتْ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
وَرَأَيْتُ فِيكَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَائِلًا وَمِنْ السَّمَاكِ دَلَائِلًا وَشُهُودًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَّدَتْ تَغْرِيدًا
لَوْلَا الْحَيَا أَنِّي أَزْنُ بِبِدْعَةٍ مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا
لَجَمَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاخَةِ مَا تَمَّا وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوَالِدِ عِيدًا
٥٦ قَالَ الشَّيْخُ دَلُّ يَزِيدِي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكْمًا وَرَاحُوا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَتَى الْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَيْمًا
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتُ سِنَانٌ رُمِي مِنْ قَتَاتِي
وَكُنْتُ بَنَانٌ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِي دَاكِ أَخٍ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقٍ مَرَّاتِي لَيْدِي :

لَيْلِنَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطُّوَالِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضْنَةٍ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالْدِيَارِ وَأَهْلِهَا
وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَتُخْلَفُ بَعْدَهُمْ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ
وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَقَارَقَنِي جَارٌ بَارَبَدٌ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمَ خَلَّوْهَا وَتَعْدُو بِالْأَقْعِ
كَأَمْ ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَانِعُ
يَحْجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَلْبِرُ إِلَّا مُضْمَرَاتٍ مِنَ التَّقَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَخْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعَدُنْ إِنْ أَلْمَنِيَّةُ مَوْعِدُ
 أَعَاذِلْ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيَا
 أُنْجَزِعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِأَلْقَى
 لَعْمَكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تُوْفِّي مُحَمَّدٌ بْنُ صَالِحٍ قَالَ

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطَوْ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَتْنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنَ الْإِخْوَانِ إِلَّا بُكَاشِيرُ
 فَقَدْتُ قَتِي قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةٌ
 لَعَمْرِي إِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكْنِي أَزْهَبُ الدَّهْرُ بَعْدَهُ
 وَأَبَانُ يَدَيَّ عَضْبُ الذُّبَابَيْنِ قَاضِبُ
 وَسُدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ الْغَيْثُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالْأَثَرِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتُ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَى النَّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْمَخَابِ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنُ صَالِحٍ يَحُلُّ بِهِ دَانَ مِنَ الْمَزْنِ مَاصِبُ
إِذَا بَشَرَ الرُّوَادَ بِالْعَيْثِ بَرَقَهُ مَرَّتُهُ الصَّبَا وَاسْتَجَابَتْهُ الْجَنَابُ
فَقَادَرَ بَاقِي الدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ رِبْعَا زَهَتْ مِنْهُ الرَّبِّي وَالْمَذَانِبُ
٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَزِيدِي مَالِكُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ وَخَرَجَ عَلَى

الشُّرَاةِ لِيَقَاتِلَهُمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمٍ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِالْدمُوعِ السَّجَامِ عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِي أَلْهَامُ
عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصِنْدِيدِهَا وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْإِمَامِ
لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ أَيُّمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
طَابَ ثَرَى حُلُوفَانِ إِذْ ضَمِنْتَ عِظَامَهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
أَغْلَقْتَ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا وَأَمْتَعْتَ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
وَأَصْبَحْتَ خَيَاكَ بَعْدَ الْوَجْهِ وَالْقُرَى تَشْكُو مِنْكَ طُولَ الْحِمَامِ
إِرْحَلْ يَا نَقْرَبَ إِلَى مَالِكِ كَيْمَا نُحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ غِنَى عَنِ الْبَحْرِ وَصَوْبِ الْقِمَامِ
وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْفُ الصُّحَى وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدُ الظَّلَامِ
وَسَائِلُ يَجِبُ مِنْ مَوْتِهِ وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَبُّ الْمَرَامِ
قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعْلَمًا يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ أَرْتِفَاعِ الْقَتَامِ
وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْذُ يَفِلُّ مِنْ وَقْعِ صَقِيلِ الْحُسَامِ
لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا عَلَى رِبْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَهْدَهُ مَا هَيَّجَ الشُّجُو دُعَاءُ الْحِمَامِ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِيهِ :

يَا حُفْرَةً صُمِّتَتْ مَحَاسِنَ مَالِكٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَعْرِضِ خَذَهُ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلَّمًا مُتَّكِبًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشُّرَاةُ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكٍ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرَمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
هُوَ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ
لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خُرَاعَةٍ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْفَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُضْحِكُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
وَعَدَّتْ تُعَقِّرُ خَيْلُهُ وَتَقْسِمَتْ
أَفْتَحِدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَنْ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَرْثِي وَالِدَهُ :

٦١ قِفْ بِالْأَطْلُولِ وَسَاهَا أَيْنَ سَاهَاهَا
وَرَدِدِ الطَّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا
وَإِنْ يَفُتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ تَجَبُّرُهَا
وَرَوْ مِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَاهَا
وَرَوْحِ الرُّوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

رُبُّوعُ فَضْلِ يُضَاهِي التَّبَرَّ تَرْبَّتُهَا
 عَدَا عَلَى جِيرةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
 بُدُورُ تِمِّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
 فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسِفًا
 يَا حَبِذَا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ
 أَوْقَاتُ أَنَسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا دُرِّكَتْ
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوَظَنُوا هَجَرًا
 رَعِيًّا لِلَّيَالِ وَصَلَّ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
 لِفَقْدِكُمْ شَقَّ جِيبِ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
 وَخَرَّ مِنْ شَانِخَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعُهَا
 يَا ثَاوِيَا بِالْأَمَلِ مِنْ فُرَى هَجَرٍ
 أَقَمْتَ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ
 ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْزَرُهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْعُلِيَاءِ مَا حَوَّيَا
 يَا أَخْصَا وَطِئْتَ هَامَ السُّهَى شَرْفًا
 وَيَا ضَرْيَحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا
 وَمِنْ شَوَائِخِ أَطْوَادِ الْقُسُوءِ أَرْ
 وَأَسْحَبَ عَلَى الْقَلْبِ الْعُلُويِّ ذَيْلُ عَلَا
 وَدَارَ أَنَسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصْبَاهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ الثَّرْبِ غَشَاهَا
 وَالْدِّينُ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمرًا وَأَحْلَاهَا
 إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبَ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 وَاهَا لِقَلْبِ الْمَعْنَى بِمَدِّكُمْ وَاهَا
 سَقِيًّا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ سَقِيَاهَا
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَأَنْهَدَ مِنْ بَاذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 كَسَيْتَ مِنْ حُلِّ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 ثَلَاثَةٌ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 جُودًا وَأَعَذَّبَهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 سَقَاكَ مِنْ دِيمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْبَاهَا
 فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلِيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا

٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي بُرِّي جَابِرُ بْنُ نَاصِرٍ الدِّينِي:

أَفَكُرْ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْخِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجَهَالِ
لَوْ كَانَ يَخْأَدُ بِالْقَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصِلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَقْتَدَتْكَ سَرَائِنَا وَتَفَانِسُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسٌ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدُسُ بِالْقَنَا الْعَسَالِ
أَعَزُّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْعِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَلْسَمُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلِ وَالْيَيْضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا أَلْنِيَّةٌ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْهَى حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَنْجَلَنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْقَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدَ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِقَضِيلِهِ وَآرَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمَرْجِي غَيْرُ خُرْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَلَكْتُ فَمَا الْوَفَاءُ بِهَالِكِ وَلَنْ يُلَيْتَ فَمَا الْوَدَادُ بِسَالِ
لَا زِلْتُ مَغْدُوقُ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بِسَحَابَةِ مَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيَّاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

٦٣ وَلَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبِدٍ بُرِّي خَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ:

أُمِّمِ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا جِيرَةً أَمْسُوا دَفِينَ جَنَادِلٍ وَتُرَابٍ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحِبَّائِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَّهَ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا مَجْرَقِ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعَا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّفْرُ صَرَعَتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ جَمِيعًا وَلَمْ نَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مَعَا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلَى فَيْكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعَا
٦٥ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عُلْقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرٍ تَكْرُمٍ وَقَلِيلٍ عَابِ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَتَدْفَعُ مِرَّةً الْقَوْمَ الْغَضَابِ
صَوْتُ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيرٍ حِينَ يُنْطِقُ بِالصَّوَابِ
كَرِيمُ الْخَلْقِ لَا طَبْعُ غَبِينٍ وَلَا فُحَّاشَةٌ تَرْقُ السَّبَابِ
كَرِيمُ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفٌّ إِذَا الضَّائِلُ مَالَ بِهِ التَّصَابِي
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَالْأَلِيلُ قَرٌّ إِلَى الْمُسْتَسْتَمِينَ ذُرَى الرِّكَابِ
٦٦ وَقَالَ الْأَبِيرُ بْنُ الْيَرْبُوعِيِّ يَرَى أَخَاهُ يُرِيدَا وَتُرَوَّى لِسَلَمَةَ الْجَنْفِي :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا لَكَ أَلْوِيلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
أَمَّا تَعْلِمِينَ الْخُبْرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا أَخِي إِذَا أَتَى مِنْ دُونِ أَثْوَابِهِ الْقَبْرُ
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي وَيَشْقَى بِهِ الْجُزُرُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنَّنِي سَوْفَ أَعْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لِي لَمْ أَنَّهُ تَقَلُّبًا كَانَ فِرَاشِي حَالٍ مِنْ ذُونِهِ الْجَمْرُ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مِنِّي فِي تَذَكُّرِهِ الْعُذْرُ
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا بَرِيدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لَا لَا الْغَفْرُ
فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى فَإِنْ قَلَّ مَا لَا لَا يُودِّبُهُ الْفَقْرُ
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا وَكُنْتُ أَنَا أَلَمْتُ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ قَلَّ بِهَا الْقَطْرُ
كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبَنَا بَرِيدٌ يَنْبِطُهُ وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ السَّفَرُ
وَلَا نَعَى لِنَاعِي بَرِيدًا تَعُولَتْ بِي الْأَرْضُ قَرَطَ الْحُزْنِ وَأَتَقَطَعَ الظُّهْرُ
عَسَاكَ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّنِي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَا مَتَهُ الْحُمُرُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي وَبَنِي أَخْرَانَا تَضْمَنَهَا الصَّدْرُ
٦٨ قَالَتْ الْخُنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

قَدَى بِعَيْنِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ أَفْقَرْتُ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْحَدَيْنِ مِدْرَارُ

تُبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَخَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفَذْ شَيْئَتَهُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مُعْتَمِدُ
وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
٧٠ قَالَ الْمُتِمِّمُ يَذُرُّ أَخَاهُ مَا لِكَا:

أَعْيَنِي جُودِي بِالْذُّمِّ لِمَالِكٍ
فَتَى كَانَ مُقَدِّمًا إِلَى الرُّوْعِ رَكْضُهُ
أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِيبُ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمُرْبَعَا
سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُجَاهَا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا

وَعَشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا أَصَابَ الْمُنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبْنَا
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكَ بَعْدَمَا أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعًا
فَقُلْتُ لَهَا طُولُ الْإِسَاءَةِ سَاءَ نِي وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعًا
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرْتِي بَعْضَ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ زَاكَ السَّجَايَا وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا فَكُلُّ النَّاسِ يَنْدُرُ مَا خَلَاكَ
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلِسِنَ دَهَاكَ مِنْ الْمُنِيَّةِ مَا دَهَاكَ
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكََا
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي وَلَيْسَ يَزَالُ مَحْتُومًا هُنَاكَ
لَقَدْ عَجِلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا وَمَا أُسْفِي لَجِسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
تُوتُ وَمَا أُمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ أَتَاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكََا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكََا
فِيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكََا
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكََا
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزْفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكََا

٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَدُّ الْبُكََا وَقُلَّ الْبُكََا لِقَتْلَى كُدَا
أَصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكْتَ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَا
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا أَتَيْتَنِي زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَا

٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوَى هَذِهِ الْأَيَّامُ لِلْعَبَايِ:

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلَى كُدَا وَقَتْلَى بِكُشُوعَةٍ لَمْ تَرْمَسِ
وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَلَابَتَيْنِ يَثْرِبَ هُمْ خَيْرُ مَا أَنْتَ فِيهِ
وَبِالزَّائِبَيْنِ نَفُوسُ ثَوْتٍ وَآخَرَى بِنَهْرٍ أَبِي فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَاسُوا زَيْنَةُ الْمَجَاسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ أَلْصَقُوا الرَّغْمَ بِالْمُعْطَسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارٍ ابْنٌ يُدَّالُّ لَهُ مَعْنٌ فَمَاتَ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتَ مَالِكَ مُولِمًا بِضِرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا تَنِي لَكَ وَارِثُ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يُولُ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيبَةً لَيْسَتْ بِبَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمَرْءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحَفْرَةِ الْحَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةُ الْجَبَّارِ
هَلَا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْمُخْتَارِ
وَتَرَكْتَ رَبِّيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَّنَ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْغُصْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَأَاهُمَا
قَرْمَانٍ لَا يَتَطَالَمَانِ وَلَا يُرَامُ جَاهَاهُمَا
وَيَلِي عَلَى أَبِيٍّ وَالْأَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُھُولِ وَلَا فَتَى كَفَتَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَتَ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَمَا نَا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلَانِهِ يَا قَوْمُ أَنْحِصِيهَا
قُرُوبِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَضِلَّعَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَّتَكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَجْرُ مَتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُمَّتْ حَتَّى تَصِلْعَا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَزِيدِي أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ
الدَّهْرُ أَخْبْتُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُخْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَائِسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيهَةَ بَعْتَهُ وَقَدَّرْتَهَا وَكَرِهْتُ فَقَدِكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْغَوَادِي إِلَى خِطَابِكَ مَكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشِيدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ
٧٩ وَرثاء أيضا أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنِّي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٨٠ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيِّ مِنَ الْمَرْقِصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ :
 وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْمُخْلَفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

الْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَاحْتَجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ جَرِيدُ يَزِيدِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ هَاجَةِ الذِّكْرِ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَائِلَهُ غَبْرَاءَ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهَا زَوْرُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عَمْرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدْيَتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرْعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقَسْطَلِ الْخَبَرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ يَزِيدِ الْهَلَامَةِ الْعَبَّادِيِّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَسًا أَقْصِرْ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهَمِّ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتَ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنْ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُولُ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذْلَنَهُ الْمُنُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةُ
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتَ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَنْاسًا قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدُوالِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
لِأَجْلِ ذَا طَالَ مِنَّا النُّوحُ وَانْتَحَدَرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فِطْنٍ
لَهُ يَدٌ وَرَدَتْ بِحَرَ الْهُدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْيَزِيدِيُّ بْنُ مَغِيرَةَ الْقُرَيْشِيُّ يَرَى الْكِسَائِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَاتَا فِي الطَّرِيقِ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةِ سَيِّدِ
سَيْفِيكَ مَا أَقْنَى الْقُرُونِ الَّتِي خَاتَ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْفَنَاءُ عَتِيدُ

أَسِيتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ
 وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
 وَأَقْلَعَنِي مَوْتُ الْكِسَاءِ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاةَ تَمِيدُ
 وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَقَ عَيْنِي وَالْعَيُونُ هُجُودُ
 هَا عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحَرَّمَا وَمَا لَهَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
 فَحَزَنِي إِنْ تَخَطَّرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ يَزِيدُ الْأَصْمَعِيُّ :

أَسِفْتُ لِقَدْرِ الْأَصْمَعِيِّ لَمْ تَمْضِ حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
 تَقَضَّتْ بِشَاشَاتِ الْمَجَاسِ بَعْدَهُ وَودَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
 وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِينَا حَيَاتُهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقْلَ النُّجُومِ
 ٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَزِيدُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقْعِ الْأَسَلِ
 عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يَرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
 شِهَابٌ خَبَا وَقَدُّهُ وَعَارِضٌ غَيْثٌ أَقْلُ
 شَكْتُ دَوَاتِي فَقَدُّهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَزِيدُ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِي :

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلِيَ الْحُجَى وَالْجَلَالُ
 فَلِلْعَيُونِ بُكَاءٌ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالُ
 وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
بِكَيْ الرِّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسُرَّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَأَخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرُولٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ ثَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمَسَامِينِ رِزْيَةٌ غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَسْمَعُوا
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى فَكَادَ فُؤَادِي حَسْرَةً يَتَصَدَّعُ
فَقَاتُ وَلَمْ أَمْلِكْ إِمْنِي عِبْرَةً وَلَا جَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِظَمُ رِزْيَتِي يَحْيَى إِلَى مَنْ نَسْتَرْجِعُ وَنَفْزِعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتِي فَيُسَالُ بَعْدَهُ إِذْ أَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُقْنِعُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنْ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَّعُوا
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأَذْرَجَ فِي أَكْخَفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا رَعِيَّةُ رَاعٍ بِهِمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَيْسَ بِمَنْ عَنكَ دَمْعٌ سَفَحْتَهُ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُفْجَعُ
لَعَرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
وَلَكِنَّهُ أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْزَعُ
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُتَمِّعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَرَى أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُنِيِّ :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفْرَةٌ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَلَا زِلَاتُ تُسْقَى الْغَيْثُ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ قَامَ يَدْعُ
لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً
فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ رَأَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَفِي الْبَحْرُ اعْتَدَى مِنْ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
وَقَعِهِ مُتَابِعَ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى
أَنَّ الثَّرَى يَمْلُؤُ عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرَى الْعَلَامَةَ نُحْيِي الدِّينَ الْكَافِيَّ :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ نُحْيِي الدِّينَ كَافِيَّ
كَانَتْ أَسَارِيرُ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دَرَرٍ
عَوْنَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْهَمِّ
تُرْهِى فَبَدِّلَ ذَلِكَ الدَّرُّ بِالسَّجِّ

فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَّارِمِهِ
يَانُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْظَفًا
فَقَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجٍ
وَكَانَتْ النَّاسُ تُشِي مِنْهُ فِي سُرْجٍ

فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ
رَأَيْتَهَا مِنْ نُجُجِ الدَّمْعِ فِي لَحْجٍ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءُ عَنْهُ رِيحُ صَبَا
لَا تَسْتَشْفُوا مِنْ شَذَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ

يَا وَحْشَةَ الْعِلَامِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ
أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهْمِ
لَمْ يَلْحَقُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ
أَنَّى وَرَثَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ

قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَقْرِينَا وَيُفَرِّقُنَا
فِي حَالَتِهِ يُوْجِدُ مِنْهُ مُبْتَهَجٍ

سَمِيَّاهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْفُقَرَانِ مُنْتَسِجٍ

٩١ وَقَالَ أَيْضًا يَزِيدِي الْحِجَارِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْخَزَرَجِيِّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَالِ الشَّهَابِ ثُخْفَةَ الْقَوْمِ زُهَّةِ الْأَصْحَابِ

كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنَ الثَّرَى بِحِجَابِ

فَقَدْتُ بِهِ أَيَّامِي الْمَعَانِي وَيَتَامَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ

هَطَلَتْ أَدْمُعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ

وَذَوُّ الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلا مَخْرَابِ

يَا شِهَابًا طُلُوعُهُ فِي سَمَاءِ الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَفْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ

لَكَ فِيهَا أَلْفَتْ تَذَكُّرَةٌ مِنْ مَا أَتَتْكَ دُرَّةُ أُولُو الْأَلْبَابِ

رَوْضَةٌ أَيْنَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ

فَسَقَى تَرْبَهَا الرَّبَّابُ لِتَهْتَرَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرَّبَّابِ

وَرَأَى كَمَرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَزِيدِي صَلَاحَ الدِّينِ :

تَمَلُّ الْهَدَى وَالْمَلِكِ عَمَّ شَتَاةُ وَالْذَّهْرِ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ

بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يَرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي شَرُفَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَتَمَتَّ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفَرَنْجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُذِرِكْتَ ثَارَاتُهُ

أَغْلَالُ أَغْذَاكِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُودَ ذَمِيمَ الْعُودِ سَيِّئِ
الْظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّيتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجَمُّلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْفَرْشَ السَّنِيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسَّلَاطَنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحِظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَالْمُتَجَمِّعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمِلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْخِلَعُ وَاللَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تُجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَّرَهَاتِ . وَلَا يَخْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي فَرْطِ إِنْجَابِهِ

وَلَا فِي قَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَثْوَابِهِ

وَلَكِنَّهُ فِي أَلْعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ خَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَهْوَلَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ لِحَمَّةَ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيْادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحَلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمَعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَغْنَى الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَتِّ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْخُسَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالْغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيسُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْخَافُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّنِيعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مُطِلَّ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلَّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطَاغِهِ عِزَّةُ الظَّهِرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُونَ أُذُنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْخَطَارَ . وَأَعْتَسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَقْهُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيدَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمُنْهَصِلَ
 قَبْلَ التَّخْزِيرِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَتَخِيطَ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَرَ
 التَّدَمَّ عَلَى مَا أَنْتَحَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَرَ

الْيَاسَ . وَأَظْهَرَ الْجَمَلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْتَخْطِ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَذْكَرُ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرُ . وَوَعِظَ فَأَزْدَجَرُ . قَالَ : مَنْ أَجْمَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنْ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْخِرَاصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَاسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ الرِّضَا نَبِيَّ التَّخَفُّظَ . وَإِنْ آتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَنَادَ مَا لَا أَطْعَاهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضُّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْعِ كَطَّئَتْهُ الْبُطْنَةُ . فَكُلُّ تَضْيِيقٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نخبه من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أودِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرِ التَّوْدِيعَ أَخَذًا فَمَا لِي نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةً الْعُمُرِ الَّتِي حَنَيْكَتْ فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورُ إِذَا طَالَعَتَهَا تَشْحَدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَمَنَّ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَهْطَلَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدَتْهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَمْشِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عِفَّةً وَأَبْغِ رِضًا الْأَعْيُنَ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلْمِي مُسْتَقْبَحٌ وَأَصْحَبْتَ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكَّتِكَ
وَبَلَغْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلَتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وَحَيْثُمَا خِيتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مَنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تُقَاسِي الْأَذْلَ فِي وَحْدَتِكَ
وَالْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلَتَجْعَلَ الْعَقْلَ مُحْكَمًا وَخُذْ كَلًّا بَمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاطِمِ وَأَصْحَبْ أَخَا يَرُغِبُ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثَرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ نُمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِيبُ النَّدَى وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَظَى حَسْرَتِكَ
وَالْشَّرُّ مَهْمَا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوْرٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَتْهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّمْدِيمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

ثَلَاثُ فَنَنَ حُسْنُ الْأَدَبِ ثَلَاثُ فَنَنَ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَأْنِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَتَأْنِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ
وَأَصْنَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى أَلَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ وَسَلَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ :
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدَ وَإِلَيْهِ قَصْدَ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِجَمَاعِ هَوَاهُ فَأَجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلَّةً وَهَبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولَ الْوَسَنِ وَأَنْزَلَ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمَسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فِيكَ أَعْتِقَادُهُ . وَطَهَرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَغْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِنَفْعَتِهِ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يُغَارُ لِجَمَلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّطْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَهَدَّدْ بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ . فَقَدْ يُدْبِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَالْمِرَاةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ قَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلٍ . فَأَخْتَدِ
بِأَمْثَلَةٍ مِنْ جَرِّبَ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جُهِدِهِمْ وَتَمِيمِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعْبُ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاؤُهُ غَالِيًا
تَجَارِبِهِمْ يُرَبِّحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَقِيحًا
لِعَقْلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْهَ نَبَذِ النَّوَاةِ . فَإِنَّ أَيْسَرَ أَكْلِ أَحَدٍ يَتَبَسَّمُ
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوَفِّي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمَعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوِّ بِمَعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمُطَامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةٍ آخِرَةٍ . وَلَا تُجْفِ
النَّاسَ بِالْجَمَلَةِ وَلَكِنْ يَكُنْ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَامٌ بَكَيْتُ
عَلَى سَلَامٍ . وَإِيَّاكَ وَالْيَتَّ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِمَخْزِيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَحْرِصْ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوُدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرْ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضُّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْهُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقْعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتُكَ . وَاسْتَمَلِ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشِرُهُ وَتَفَقَّدِ فِي فَلَاتٍ الْأَاسُنَ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمُ الْجُرْحِ وَأَجْمَلُ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلِ مِنَ الدَّهْرِ مَا
آتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَاشِيهِ نَفَعَهُ إِذِ الْأَفْكَارُ تُجَابِ الْهُمُومِ . وَتُضَافُ
الْهُمُومُ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتَمُ الْعَدُوَّ وَالْمُجَانِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لِأَنَّكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَايِكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَخْرَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَدْعُو بِطُولِ غَيْبِكَ
الزَّمْنَ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيقَتُهُ

الْغُومُ . وَمِنْ صَغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لُفِّ
 بِصَدْرِ أَلْهَمَ . وَمِنْ أَنْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
 (وَيُنْشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشِدُ) : وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ
 الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 مُخْسِرٌ يَمُرُّ ضَيَاعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكُنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدَّ حَوْهَ . فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أُعْجِبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
 فَصَبَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَتَسَبَّهَ فَبَقِيَ مُخْبِلَ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
 إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مِشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
 فَأُضِلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مِشْيَهَا فَلَذَاكَ كُنُوهُ أَبَا بَرِّقَالٍ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرَكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَسْكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْحِرْمَانُ . وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأَيُّمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ
 لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ . وَلَا تُرِلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأُخُو الْعِزِّ يَابِنُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي الْأَلْبِ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْقَطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (ملخص عن المقرئ)

طريقة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمُزَايَلَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَجِّيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِدِيَانِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ .
وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
وَمَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لِدَاكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنْتَ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقَفُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزَمُ نَفْسُكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمُواظَبَةُ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَأَسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالْدِّينَ وَحِمَاتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَزِنُ بِهِ
 الْمَرْءَ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَأَهْيَةِ لِسُلْطَانِكَ وَالْأَلْسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِسَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَتَيْنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِسَادِ . فَآثِرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآخِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَصْلِحَ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأَتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرُدَّ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلَحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا قَوْلِيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرَاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ مَأْثَمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يُنْقِصُكَ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . . . وَتَقَرِّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرُّدَ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَاخُودٌ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَغِزَاوَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَأَسْأَلُكَ
 بِمَنْ تَسْوِسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوه . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرِمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَهْمُ
 لَكَ مَرْوَةُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النَّمِيمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا تَقْرِيبُ
 الْكَذُوبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النَّمِيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَتِمُّ لُطِيعُهَا أَمْرٌ . وَأَحْبِبْ أَهْلَ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ
 الرَّحِمَ وَاتَّبِعْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَالتَّمَسُّ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا
 رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ
 مُسْجَانُهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تُجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ . وَأَسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ
 آتِي تَذَخِيرُ وَتُكْثِرُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَأَسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ
 بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدَ لَأُمُورِهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُهِوِّفِهِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمَوَوتَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
 وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَيَتْ بِهَا الْوَلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالْمُنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقِرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
 بِذَلِكَ عَلَى جِبَايَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَهُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَ لَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا
 بِكُلِّ مَا أَرَدَتْ . وَأَجْهِدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
 وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيَكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُورِثُ التَّفْرِيطَ وَالتَّفْرِيطُ يُورِثُ الْبَوَارَ . وَلَا تَحْقِرَنَّ دُنْيَا
وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَافِلًا وَلَا تُؤَمِّنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَذْحًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا أُسْمِيَ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَطْلُوكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُهُ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمِلُ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخَبْرَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمَ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافَ . وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْحُقُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يُضْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأُخْدُوثةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْمَحَبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَشَتِ الْعِمَارَةُ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى أَرْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مُرْضِي الْعَدَلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كَمَا هَذَا عَدْلٌ وَآلَةٌ وَقُوَّةٌ وَعُدَّةٌ .
فَنَافِسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَأَجِبْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَإِنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ . وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنُقِضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرُهُ
 بِعَدْعِ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثْرٍ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَأَفْرِغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَعْدِكَ وَكَثْرٍ مُبَاشَرَتُهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لِنَعْدِ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُهْمِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيَشْغَلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمَضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَدْتَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تُسْتَعِينُ
 صَفَاءَ طَوِيلَتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَأَحْتَمِلْ مَوَدَّتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا لِحِلَّتِهِمْ مَسَاءً . وَأَفْرِذْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَمْدُرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْمُخْتَصِرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ . وَمُرْهُمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُضِلُّهُ اللَّهُ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَأَيَاتَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِدَاءً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصِّلَةِ لَهُمْ . لِيُضِلَّ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَاتٍ وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَضْرَابِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عُمَّالُكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُتَفِقْ إِسْرَافًا . وَكَثِّرْ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعَ السُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِثَارَ مَكَارِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمَ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَنْتَعُهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ . فَإِنَّ أَوْلِيَّكَ أَنْ تَنْصَحَ أَوْلِيَاكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ . وَانْظُرْ عُمَّالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّالِكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ . فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَعْتَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَفْهَمُ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَكَثُرَ النَّظَرُ فِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ . وَلَيْكُنْ أَكْثَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
عَيْشِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمْكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْإِمْلَةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَلاءَكَ . وَالسَّلَامُ
(لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نُقِلْتُ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ حَيْثُ هُمَا وَكَأَنَا بِالْبَقَا زَارَاكَ حُبًّا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا مَنَحَاكَ نَفْسَ الْوَدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً جَزَعًا لِمَا تَشْكُو وَشُقَّ عَلَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنَكَ أَسْبَلَا دَمْعَيْهِمَا أَسْفَا عَلَى خَدَيْهِمَا
وَتَمَنَّا لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً بِجَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَنَسِيتُ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتُ فِي دَارَيْهِمَا
فَلْتَحَقَّ هُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبَوَيْهِمَا
وَلْتَسُدَّ مَنْ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا نَدِمَا هُمَا قَدَمًا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعْلًا صَالِحًا وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقَّيْهِمَا
فَأَحْفَظْ حِفْظَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا فَعَسَى تَنَالُ الْقُوزَ مِنْ رَيْبَيْهِمَا

٩٩

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمَ

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمٍ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحِشَةٌ فَلَا فَا بَدَأُ إِذَا خِفْتُ النَّدَمَ
 وَإِذَا قُلْتُ نَعَمٍ فَأَصْبِرْ لَهَا بِنَجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
 أَكْرَمُ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْقَانَ أَلَتِي الْحَقِّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ
 ١٠٠ قَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعْظُمُ أَتْنُهُ بَذْرًا :

يَا بَذْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لِذِي أَلْبِ الْحَكِيمُ
 دُمُ الْخَلِيلِ بَوْدِهِ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودُ الْإِنْيَاةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَأَعْلَمْ بَنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يَلُوي الْغَرِيمُ
 وَالْبَنَى يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْفَنَى وَيَهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ أَلْتَقَى وَيَكْثُرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
 يَمْلَأُ لِذَاكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

وَالْمَرْءُ يَنْجَلُ فِي الْحَقِّ قِوَالِكَا لَهَ مَا يُسِيمُ
مَا يُجَلُّ مَنْ هُوَ لِلْمَوْتِ وَرَيْبَهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمُشِيمُ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

١٠١

نخبة من حكم أبي عثمان بن إيثون التيجي

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتِبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَعِزَّةُ الْعَالِمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةُ الْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهِلِكَاتٌ لَا تَحَالَةُ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَشَحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعَجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أُخْلُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَأَتَقَبَّحْ
وَيَنْشُرْ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلَّنًا وَيُنْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَيْثُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْنَا وَيُعْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَا تَا
يُسْرُ إِنِ اتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلْنَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ أَوْلِيَ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفْرَةً عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الثَّنَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَدْعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ قَوْسُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ إِلَّا مَوْتُهُ وَيَنْبُلُ عِزُّ الْأَعِزَّاءِ

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَقْبَلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرِفْقٍ وَاتَّسِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تُؤْتِي الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَتْ يَتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدَّتْهُ فِي غِيهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَأَجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَرُهَا نَا

تَثَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكَّرِ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُنْخَطِي وَتَرْجِعَ لِتَثَبَّتِ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي أَعْلَى عَفْوًا بِلا تَعْبِ هِيَهَاتَ نَيْلُ أَعْلَى عَفْوًا بِلا تَعْبِ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ أَعْلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

أَلْحَرْ فِي التَّحْقِيقِ مُنْتَقِ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْتَفِعْ بِنَصَائِحِي وَأَبْجَلْ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَالْتَقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَايِكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفْتِي إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْهَمِّي فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنَ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيُّ عَالَمٌ يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَا سِيَّامًا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِلْفَتَى عَيْشُ رَخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَقْدَمُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَمُرِّ الْعُتْبِ تَمْزِيجًا
إِذَا فَطَمْتَ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمْتَ فَأَجْعَلْ لَهُ يَا عَقِيدَ الْفَضْلِ تَذْرِيجًا
وَلَا تُعَيِّفْ إِذَا قَوَّمْتَ ذَا عِوَجٍ فَرُبَّمَا أَنْعَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِيجًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِّ مَكَابِدَا
فَهَلَّا أَقْسَيْتَ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْإِلَامُ وَالْتَّمَوَى هِيَ الْبَاسُ وَالْحَجَى

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدُّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِخْ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتَهُ
كَمْ مِنْ وَجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خَصَائِصُهُ
فَأَحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قُصَارَاهُ مِنْ إِيْنَابِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهُ

منحة من اراجيز الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
هَذَا كِتَابٌ جَامِعُ الْأَدَابِ
حَبْرَتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْيِيرًا
أَوْدَعْتُهُ مَحَاسِنَ الْمَذَاهِبِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنْ وَالطُّولِ إِلَهِ الْخَلْقِ
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
لَمْ آلْ فِيهِ النَّصَحَ وَالْتِيسِيرَا
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلُّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَقَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَى وَالْأَدَبِ
 وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمْلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
 يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مَحْمُودٍ مَا أَنْشَاهُ
 وَيُنْحَكِمُ الْمَغْلُ الْمَغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا نَحْرِيذَا
 وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
 لَكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنُضْ الْأَمْرِ وَالْإِيْرَامِ
 وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لِيَصْرِفَ الدَّهْرَ وَالْعَجَابِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَّجَارِبِ
 كَقَالِكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
 لَا تَحْمَدَنَّ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا بِجُلْبٍ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
 قَرِيبًا أَخْلَقَكَ الطَّرِيدُ بِالْأَمْعِ أَنْتَ بِهِ غَرِيدُ
 إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
 نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
 وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَكُذِي غَلِيلٍ شَرِقٍ بِمَاءِ
 وَأَتَهَزُّ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ قَرِيبًا طَلَبْتَهَا فَفَرَّتْ
 وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ قُوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
 مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
 رَبِّ رَحًا دَارَتْ بِمَنْ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبِيهَا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحَسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْخَبَالَ وَالْفَسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أَنْيْسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سِتِّي الْجَلِيسِ
 نَاصِحُ أَخَاكَ فِي الْمَلِمَاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ قَوِّطِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقًا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعِشَارَا

العمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلَصَّتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَاهِدُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنْ الْبَيَانِ
 فَعَذِّبْهُ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقَطِ يُفْرِطُ فِي مَا فَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ النَّدَامَةَ
 إِسْتَبْدَلَ الْخِيفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطِئُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عُمُورٍ إِنْ لَمْ يَسْسَهُ الرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ
 لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنَّ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الْضَرَرُ

فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٍ بِهِ الْعِتَارُ وَالزَّلَّلُ
يَا رَبِّ مُحْقُورٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَفْظَةٍ زَائِتَةٍ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلَقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمَ مِنْ أَعْدٍ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمْ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْتَلًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ مُخْتَلِفُ الْإِقْبَالِ وَالْإِذْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَلَاكًا يَسْلُو الْبَهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَتَّقِمْ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثِ
إِذَا أَتَى مَا لَا تُطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوَّلَى مَا أَقْتَنَتْ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا تَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمُنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا جِ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أَسْرُ بِهِ حَالَاتُكَ الذَّمِيمَةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْظَعُ الْمَسَاوِي
مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ
مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ
وَلَكِنَّهُ الْمُنْطِقُ بِالصَّوَابِ
لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي الثَّجَارِبِ
لَا تَسْتَعِينَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ
صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَهَاوِي
ثُمَّ أَتَى بِالْصِّدْقِ لَمْ يُصَدِّقْ
فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَاثِنًا مِنْ شَانِهِ
خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
لَا تَسْتَعِينَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ

المكّارم

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَّارِمِ الْأَخْلَاقِ
تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ
أَزِينَ حِلْيَةً عَلَى الْإِنْسَانِ
فَارْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا
فَإِنَّهَا تَحْكُمُ الْفَضَائِلَ
عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ
فَكُلُّ مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَ
عَلَيْكَ حُسْنُ الْبَشْرِ فِي الْإِقَاءِ
يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قُبُولًا
يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا
يَذُودُ عَنْكَ أَلْهَمُ وَالْمَلَامَا
فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
تَنْحُكُ الْإِعْزَازَ وَالْكَرَامَةَ
وَأَشْجَعُ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا آجِلًا
فَرَضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْأَعْمَالِ
فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالًا
فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
مِنْ أَلْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
يَذُودُ عَنْكَ أَلْهَمُ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلّي بن أبي طالب

صَرَمْتُ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ (*) وَالْدَّهْرُ فِيهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَابُ

(•) انما اراد الشاعر بزینب هنا الدنيا وبالغانيات في البيت بعده ما اذا

وَكَذَٰكَ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ
قَدَحَ الصِّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّيْبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَّ عَنْكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصِّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارِ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكُ إِنْ حِينَ نَسِيَّتِهِ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيمَةٌ أودَعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَنْتُمْ هُدَيْتُمْ نَصَائِحًا أَوْلَاكُمْهَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَأَتَعِظُ بِمَا لَهُ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرُ الْخَوْنُ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا
وَيَفُورُ بِالْمَالِ الْخَفِيرُ مَكَانَهُ
وَيَبْشُرُ بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَأَقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرَسَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَانِدٍ

وَأَزْهَدُ فَعْمُوكَ مَرٌّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسُنَا بِهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَتَيْتَ لَهَا وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ
سَرَّ دُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
بُرْ نَصُوحُ الْأَنَامِ تُجَرِّبُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوذِعِيُّ الْأَدْرَبُ
مَا زَالَ قِدَمًا لِلرِّجَالِ يُودِبُ
مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعْرُ الْأَنْجَبُ
قَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَقَدْ كُتِبَ ثَوْبُ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيسَ وَيُثْعَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزِمَهَا تَقَرُّ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلْ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَزِعْ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَانِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُدِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَاخَاةَ الدَّيْنِيِّ لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقَكَ وَأَصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا
وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُمُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُمُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْذَرْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَانْكُتْمُهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْفُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُجِيبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمَطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ كَسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِبُ
بِتَذَلُّ وَأَسْخَ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهَ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلَبُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثَرَارَةٌ فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَاكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَضُوبُ
شِبْهُ الرُّجَا جَهَ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمَا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبِلْدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةً الْقَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
فَأَصْنَعْ لِيَوْعِظَ قَصِيدَةً أَوَّلَاكَهَا

فَالَيْتُ يَبْدُو نَابَهُ إِذَا يَغْضَبُ
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَبَّبُ
حُلُو اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الثُّعْلَابُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرْضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
فَالْتَضِعْ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْظَمِ الدَّرَبِ لَيْسَ هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَالُهَا لَذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّائِخَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردی

١١٠

إِعْتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالنَزَلِ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْغَادَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا
وَأَفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجُرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا

وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
فَلِأَيَّامِ الصَّبَا تُجْمُ أَقْلُ
تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلُّ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تُجِدُّ أَمْرًا جَلَلُ
كَيْفَ يَسْمَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَاوَرَتْ قَابَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيُّ نَمْرُودٍ وَكَنْعَانَ وَمَنْ
أَيُّ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّ أَرْبَابِ الْحِجَابِ أَهْلُ النَّهْيِ
سَيِّدُ اللَّهِ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ نَبِيِّ أَسْمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
وَأَحْتَفِلْ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى
جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِاللَّحْوِ فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُتْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
إِطْرَاحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهْلٌ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ شَجَاعٌ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى

قُلْ مِنْ جَيْشٍ وَأَقْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلَاكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُشْنِ الْقُلُلُ
أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ
وَسَيَجْزِي قَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمِلَلِ
أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَخْفِرُ مَا بَذَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرَمُ الْإِعْرَابُ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلِ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّمَلُّلِ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلِ
وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتَرَأْ بِالْوَشَلِ
تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلِ
وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلِ
وَجَبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرُكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلِ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي وَبِحُسْنِ السَّبكِ قَدْ يُنْقَى الزَّغَلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبَتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقَلُ
بَيْنَ تَبَذُّرٍ وَبُخْلِ رَتْبَةٍ وَكَأَلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَهْلَى النُّقْلِ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
قَصِيرُ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا تَفْرُ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غَبٌّ وَزُرْ غِيًّا تَرِدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلُ إِقْلَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسُ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
خُذْ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاتْرُكْ غِمْدَهُ وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْحُلَلِ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ فَاغْتَرِبْ تَلَقَّ عَنْ الْأَهْلِ بَدَلُ
فِيكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنَا وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلِ

نونية ابي الفتح البستي

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرَبْحُهُ غَيْرُ تَخْصُصِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ هَذَا
يَا عَايِرًا لِحَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا بِاللَّهِ هَلْ لِحَرَابِ الْعُمْرِ عُمَرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تُجَمِّعُهَا أَنْسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ
زِعَ الْهُوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَصَفُّوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَرَعَ سَتْمَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا كَمَا يُفْصَلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحِدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ قَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِذِي أَمَلٍ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْمَ مِعْوَانُ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزُؤِ مَنْ هَانُوا
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
مَنْ سَلَّمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَهُوَى أَنْغَضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بَرْهَانُ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَفِيقَ الْبَشَرِ إِنْ أَلْحَزَ هِمَّتُهُ
 وَرَافِقِ الرَّفِيقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَنْرُكْ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمَّاكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَالْرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ وَانْمِغَمَةٌ
 صَنْ حَرْوَجِيكَ لَا تَهْنِكَ غِلَالَتُهُ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلٌّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِاقِلُّ حَصِيرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذِيلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا سَكَلُ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيُورِدِهِ
 لَا تَتَخَدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِقَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلْتَدَا بِبِرِّ فُرْسَانٍ إِذَا رَكَّضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَمِيصِهِ مِنْهُمْ صِلْ وَتُعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبِشْرُ عُتْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَدْمٌ وَرَفِيقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمَّاكَانُ
 وَالْحَرْقُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فِكُلُّ حَرْقٍ لِحَرْقِ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلُ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخْبَانُ
 فَمَارَعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَايِزُ لَسْتَ تُخَصِّيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 قَالِبُ يُخَدِّشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَوَيْزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التُّضْجِ بُحْرَانُ

كَتَمِي مِنَ الْعِشْرِ مَا قَدَسَدَ مِنْ عَوَزٍ
 وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
 إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ
 حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
 هُمَا رَضِيعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
 إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ
 يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ
 مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
 يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ
 وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجْجِ
 لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
 يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ أَوْخَفِ مُنْتَشِيًا
 لَا تَغْتَرَّزْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلُ
 وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ
 هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا
 كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
 وَكُلُّ كَسْرِ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ
 خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ
 مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعُ صَافِيهَا

قَصِيهِ لِلْحَرِّ قُتَيَانُ وَغُضَيَانُ
 وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَعَضَيَانُ
 فَأَطْلُبْ سِوَاهُ فُكُلُ النَّاسِ إِخْوَانُ
 إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ
 وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ
 وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَّهْرِ يَقْظَانُ
 وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
 أَبْشِرْ وَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رَيَّانُ
 وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَّانُ
 مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
 مِنْ كَأَيِّهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ
 فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
 يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
 مَا عُذِرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
 إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
 وَمَا كَسَرَ قَنَاقَةَ الدِّينِ جَبْرَانُ
 فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّبَيَّانَ تَبَيَّانُ
 أَنْ لَمْ يَصْنَعْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَّانُ

أَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

امثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي أَلْصَمْتِ) * أَلْصَمْتُ حُكْمٌ وَقَائِلٌ فَاعِلُهُ * عَيَّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عَيَّ نَاطِقٍ * أَلْصَمْتُ يَكْسِبُ أَهْلُهُ الْحَبَّةَ * إِسْتَكْثَرُونَ
أَلْهِيَّةَ أَلْصَمُوتٍ * أَلْصَمْتُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنْ أَلْصَمْتُ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كُشِفَ الْأَمْرُ بَعْدَ اكْتِمَائِهِ) * حَصْحَصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحُ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَّحَ الْمُخْضُ عَنْ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرِحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْآدَمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَلَ
الْعُمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفُكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمَنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ٧ * هُنْتُ وَلَا تَكْذُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ان ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لانهام السياق

١ شبه بالحالب الجاهل الذي يجلب شخباً في إنياء وشخباً في الأرض

٢ أصله أن يخلط الوبر بالصوف . والمطراق العود الذي يضرب به بين ما خلط

٣ أي أخرجوا فرختها . يريدون أظهروا سرهم

٤ أي جعلك الله كذلك

٥ أي أقصاه

٦ أي نعم بالك

٧ في الأصل . يقال رفأته إذا دعوت له بالكثرة

٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسُهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * خَمَدَ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَاوُهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنُهُ وَأَنْهَارَ جُرْفُهُ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْفُهُ * غَارَ مَاوُهُ وَسَقَطَ
بَهَاوُهُ * قَرَعَ فِنَاوُهُ وَصَفَرَ إِنَاوُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمَعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَقْحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْآثَانِي ٢ * الْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحَلَالَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ : الذِّبُّ يَأْدُو لِلْغَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبَرِّزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِيُّ
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَاةٌ أَوْ غِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْغَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُنْجَرُ فَلَانٌ فِي
الْعِيْنِ ١٠ * مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبَاقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن . فاثله الله وأخراه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما له لا عد من نقره ٢ يريد قطعة من الحبل يجعل إلى جنبها
للثتان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبُهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكنه بها
٥ أي خادمه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى غِلَاةً وظلَّ يضرب أخماسًا لأسداسٍ
٧ أي يختله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كلما يسبق الفرس
القارح الحُسْرُ ١٠ ألكم الحوالت يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمير مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء
فَضُرِبَتْ مَثَلًا

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ . وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ الصُّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْعَزِيزُ يَغِزُّ بِهِ
 الدَّلِيلُ) * إِنْ الْبُغَاثُ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لِأَحْرَبِ بَوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَزَّ * مَنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمَرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَيِ كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فَلَانٌ أَلْوَى بَعِيدٌ أَسْتَمَرَّ * مَا
 بَلَلْتُ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ٤ * مَا يُقَعِّعُ لِي بِالسِّنَانِ * مَا يُضْطَلِّي بِنَارِدٍ *
 مَا تُثَرِّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ التَّخْرِيرُ) * إِنَّهُ لِنِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لِعِضٌ ٥ * أَنَا جَذَلِيهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ
 لَجَذَلٌ حِكَاكٌ * عَنِتُّهُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلَامِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِيٌّ ٩ * مَا حَكَّكَ قَرْحَةٌ إِلَّا أَدْمِيَّتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُذِيرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ التَّخْرِيرُ .
 فَإِذَا أَذْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَّابٌ

١ الْبُغَاثُ صَفَارُ الطَّيْرِ تَسْتَنْسِرُ تَصِيرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِ مُعَلِّمِ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 مَنِعًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمُوعِ ٤ وَأَصْلُهُ السَّهْمُ الْمَكْسُورُ الْفُوقُ
 السَّاقِطُ الصَّل . يَقُولُ : فَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكِّي وَالْعِضُّ الْعَالِمُ التَّخْرِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْحُذَلُ تَصْغِيرُ الْحُذَلِ . وَهُوَ عَوْدٌ يُنْصَبُ لِلْأَبْلِ الْجَرْبَاءِ لِيَحْتَكَّ بِهِ مِنَ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأْيَهُ يُشْفِي بِهِ . وَالْعُذِيْقُ تَصْغِيرُ عَذِيْقٍ . وَالْعَذِيْقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَلَّةُ الْكَرِيمَةَ سَوَّاهَا مِنْ جَانِبَيْهَا الْمَائِلَ بِنَاءً مَرْتَفَعًا يَدْعَاهَا لَكِي لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغَرُهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَيْنَةُ شَيْءٌ تَعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِيَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ قُرِعَتْ لِعَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي . وَكَانَ حَكَمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَنْكَرَ عَقْلَهُ . فَقَالَ لَبْنِي : إِذَا أَنَا زَعْتُ فَقُوْمُونِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيُفْرَعُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

بِأَنْفَعِ ١ * إِنَّهُ لَحَرَّاجٌ وَلَاجٌ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُنَجَّدٌ ٣ * أَوَّلُ لُغْزٍ وَأَخْرَقٌ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِسَلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌ بِعُودٍ أَوْ دَعٌ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا يُتَقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتَ كِرَاعًا فَصِرْتَ
 ذِرَاعًا * كُنْتَ عَنَزًا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتَ بَغَانًا فَاسْتَأْسَرَتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * أَلْقَرَنِي فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةً *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (أَشْبَاهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * الْعُصْيَةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلَ
 الْجِبَالِ بِأَلْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ الْآيِلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شِنْشِنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذِيْبًا * حَذُّو النِّعْلَ بِالنِّعْلِ
 وَحَذُّو الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ٥ * (الْحِلْمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرُّ فَاقْعُدْ ٦ * وَمِنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ * لَا يَتَّصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَكَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود الخير والشر ٢ أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يجتمع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو المجرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناجذه إذا استحكم ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقُدَّة الريشة من ريش السهم تمحذى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع إليه

الرَّيحَ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبِّمَا أَسْمَعُ فَأَذَرُ * جِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا إِلَهَ ٢ * سُوءُ الْأَسْتِيسَالِ خَيْرٌ مِنْ حَسَنِ الصِّرَعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَفْرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرَّ أَرَأَى النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُبْغِضُهُ *
 (الْأَسْتِعْدَادُ الْأَمْرَ قَبْلَ نُزُولِهِ) * قَبْلَ الرَّمْيِ يُرَاشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تُلَا الْكِنَانِ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * التَّقَدُّمُ قَبْلَ النَّزُولِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرَ حَالًا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ لِدَهْرِ بَصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَرَاقِبِ * (حُسْنُ التَّذْيِيرِ وَالتَّهْنِئَةِ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّفْقُ بَيْنَ
 وَالْخُرْقِ سُومٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ * قَلْبِ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنِ * وَجْهَ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِحَارَهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحَوَّلَ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَتُرِيهِ
 النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ . وَطَارَتْ

٢ معناه إن لم يكن خطوة فلا

٣ أي باستقباله قل أن يدير

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطف

نقصير . وألا يأتو ويأتلي وهو التقصير

بِهِمْ عِقَابٌ مَّالِعٌ ١ * وَالْمَنَآيَا عَلَى الْخَوَآيَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدُّهُمُ تَرْمِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ ٤ * إلتقت حاقنا البطان ٥ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيدِينَ ٦ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظَمَ * (الْيَاسُ وَالْحَبِيبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِخُفِّي حَنِينٍ ٦ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَبِيبَةِ ٧ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ
 خَلْقًا ٧ * (الظُّلْمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَاةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتِرُ * عَادَ الرَّفِيُّ عَلَى التَّرْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحِثٍ مِّنْ مَّدِينَةٍ * رُمِيَ بِجَجْرِهِ وَقِيلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَعٌ وَلَا
 هِيَاةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يقال ذلك في الواحد والجمع . وأحسبها معدولة عن مبلغ ٢ قال أبو عبيد : الخوايا في
 هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحدتها حوّة . وأحسب أصلها إن قومًا قُتِلُوا فحُماوا
 على الخوايا فصارت متلاً ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معناه أن الأمر اشتدَّ حتى
 ذهبت المرأة أن تدعو وليدها • أي من لي باليمن بعد الشوم
 ٦ قال الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
 وأدركُ الخوفُ تحت الدُّجَى وأستصعبُ السرَّ والفرقدَيْنِ
 وأطوي وأنشُرُ ثوبَ الصُّمومِ إلى أن رجعتُ بخُفِّي حَنِينِ

٧ أي اطل السكوت وتكلم بالقبيح . وهذا المثال يقع في باب العي وله هنا وجه أيضاً

٨ والمعارة البئر تُحفر للذئب ويمجمل فيها جدي يسقط الذئب فيها ليصيده فيصطاد

٩ وهم الرماة يرجع عليهم رميم ١٠ معناه لا شيء له

١١ وهما الحدي والمناق ١٢ معناه ليس له أحد يجرب منه ولا أحد يقرب إليه فليس له

١٣ وهما الضائفة والماعزة

تني

مَا بِهِ نَبَضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْدارِ دُعْوِيٌّ وَلَا يَهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا يَهَا مِنْ غَرِيبٍ .
وَلَا يَهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا يَهَا وَارِثٌ وَمَا يَهَا صَافِرٌ . وَمَا يَهَا دَيَّارٌ وَمَا
يَهَا نَافِخٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا يَهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتِجْهَالُ الرَّجُلِ وَتَفْيِ الْعِلْمِ) *
مَا يَعْرِفُ الْحَوَّاءُ مِنَ اللَّوِّ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيُّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرِهِ .
وَلَا قَيْلًا مِنْ دَبِيرِهِ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
مَنْ يَهْرَهُ يَمْنُ يَهْرَهُ * وَأَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلُ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه أبياتٌ ذهبت مذهب الامثال وأكثرها للمتنبي وللحريري

إِنَّمِمْ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنٌ أَوَائِلُ
إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
إِذَا اعْتَادَ أَنْتَقَى خَوْضَ الْمَنَابَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْعِخَابِ السَّبْعُ
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنََّّهُ فِي ثِيَابِ الْحَزِّ مَوْلُودُ
إِذَا أَشْتَبَكَ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَهُمْ فِي الْمُنَزْلِ الْحَشِينُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر . والنبض تحريك الوتر والحبض صوته وقال :
والنبض دعوي نبضاً وحبضاً ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١

إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَأَدْرِغْ تَعَبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نَدَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتَهَا
 بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تُرِيدِينَ إِذْ رَأَى الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيقَتَهُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمَرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبْرٌ بَلَا نَسْبٍ تِيَهُ بَلَا حَسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلَائِقُ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمْتَ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضَ بِالذِّلِّ وَاخْتَرَارَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَّاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعٌ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالِقُ الْفِعْلِ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابِتُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهِيدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدَّودُ
 وَلَا سَمَاوَهُمْ تَهْلُ بِالْدِّيمِ
 وَيَنْكِرُ الْقَهْمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلْقِ
 فَخَرٌ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ أَهْجِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمَرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذَا
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَآيَا
مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرَّةٍ قَمَرُ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ
وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِهِ أَتَقَى شَرَفُهُ
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ
وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ يَمَانَعُهُ
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ
وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
وَمِنْ الْبَلَاءِ عَذْلُ مَنْ لَا يَدْعُو
وَمِنْ أَعْدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُنُونُهُ
فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا
كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ
وَرَأَيْدُ أُعْجِبَتِهِ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
خَلْقًا وَلَا الْبَازِي حَقَّارَةُ عُشِّهِ
فَرَشْتَ لِحْنِيهِ شَوْكُ الْقَتَادِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَانِ وَالشَّيْبِ
إِذَا لَمْ أَتَجَلَّ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتِمُّ
وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
وَكُلُّ مَكَانٍ يُبَيِّتُ الْعِزَّ طَيْبُ
فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَامِ
فَلَمَّا أَلْتَمَيْنَا صَغَرَ الْخَبَرُ الْخَبِيرُ
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَثِيرِ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ يَّجْعِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَمِيَهُ
وَقَدْ نَجَّ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيَّ أَنَّهُ
وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَّاحَ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَخْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَصَغِرُ إِلَّا بِصَارُ صُورَتِهِ
وَكَمْ مُضْمِرٌ بَغْضًا يُرِيكَ مَحَبَّةً
وَمَا سَكُلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرِيحَةً
وَمَا سَكُلُ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَخْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا
وَيَجْعَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْخَوْ مِنْ جَاءِ تَائِبًا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطَرِّقٍ
إِذَا حَصَّاتُ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
عَلَى الْمَاءِ خَائِتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضْرُ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شَهْبُ ظَلَامِهِ
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ تُجَاجَا
لَا تَلْتَظِي إِنْ لَمْ تُثْرِهَا الْأَزْدُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرِمُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يُفِي بِشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَالِعَةِ الْقَمَرِ الْهِلَالُ
وَالذَّنْبُ لِطَرْفٍ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ
وَفِي الزَّئِدِ نَارٌ وَهَوٍ فِي اللَّسِّ بَارِدُ
وَلَا سَكُلُ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرَنَّمُ
وَلَا سَكُلُ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعَ بِكَاتِبٍ
وَلَا سَكُلُ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخَيِّ الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ
بِأَجَلٍ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطِلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرِقْ
عَمْرُ وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ اللُّجَيْنِ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصَفَّى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَقَمِ

نخبة من تغريد الصالح لابن حجة الحموي

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التُّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَقْتَرِرْ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمُوجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلَا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَقْدًا مَنْ غَرَّهُ السَّامُ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا تَيَاسَّنْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٌ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّانِي مَا لَمْ تَسَلْ بِالْحِرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقَرًا قَرُبًا أَسَالَتْ الدَّمُ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجُ عَنْوَانُهُ مَلِجُ
 فَأَلْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَنْشِي لِرُخْرِفِ الْمَقَالِ
 مَا طَابَ قَرَعُ أَصْلُهُ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
 وَالْبَغْيُ فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْعِ وَالْعَجَبُ فَأَتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَضَرَعِ
 وَالْقَدَرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحُ جِدَا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْغَى الْعَهْدَا

من قصيدة الي القتاهية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَمْتَنِعُ الرَّأْيُ الْأَصِيلَ شَكَّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ تَقْصُ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
 يَا رَبِّ مَنْ أَسْتَخْطَنَّا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّ مُمْتَرِجٍ وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجُ
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ تَحْضُ يَخْبَثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٌّ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْهَمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ الثُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ تَخَايَلُ السَّعَادَةَ
مِنْ جَبِينِهِ لِأَمْحَةٍ . وَرَوَائِحُ الثَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَائِلِهِ فَائِحَةً . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنٍ أَمْرَامٍ . وَأَطْلَبَ عَيْشَ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَأَيْتُ . وَالْهَوَاءُ
مُؤَافَقٌ . وَالنَّكْبُ مُفَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسَفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتِ . وَالْأَمْوَاجِ مَا جَتِ . وَاثْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شِمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ . وَزَقِمَ نَشْأَ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغَرَابِ يَمُنُ فِيهِ مِنَ الْأَنْعُمِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْالَاقَ . وَطَوْرًا يَبْطُونَ الْأَنْوَارَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَرُبَّمَا مَرَقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزُّورِ . فَلَمْ يَذَلُّوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سَكَّارَى
وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفُلْكَ رَكِيبًا دُورًا وَالتَّجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَتَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ بِهَا أُنْحَدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيَّاحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ التَّجْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ الْغُلَامُ
بِلَوْحٍ مِنَ الْوَاحِهَا . وَاسْتَمَرَ تَقْدِيفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَضَطَّيْمُ بِهِ أَثْبَاجُ
التَّجْرِ الْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبُ نَاحِلٍ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَافِكُهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِه
الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَاءَى لَهُ سُودٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَأَسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُبُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسٍ تَلْعَبُ . وَزُمُورٍ تَرَعُقُ . وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَاكْبُؤُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يُقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبَشِّرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْخِلْعَ السَّنِيَّةَ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلِيَّةً . يَكْنُبُوشَ ذَهَبٍ . وَسَرَجَ مُفَرَّقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّاجَ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَائِبُ فِي
 الْمَوَاكِبِ تَجْرُ لَدَيْهِ . يُنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شُقُقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 مَجَامِرَ النَّدِّ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالْدُّسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا
 عِبْدُكَ . وَتَابِعْ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَخْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَاثْتَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَذْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدًى . وَإِنْ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يُقَدِّرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُحْدِثْ حَدًّا . أَعْبَاءَ وَلَا عَثَاءَ . وَجَعَلَ يُلَازِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعَةِ . مُلَازِمٌ بَابِ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمَنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنَبِّتٌ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَعَهِّدُ أُمُورَ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ
 الْمُبَارَ . مُؤَيِّسُ قَوَاعِدِ الْمُلْكَةِ وَالسَّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ
 مَهْمَا أُمُكِنَهُ . مُتَخَصِّصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمُلْكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ
 الْوُظَايفَ مَا يَقْتَضِي مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى شَابٍّ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ .
 مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا .
 وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَعَمِلَ بِاللَّطْفَةِ وَيُرِضِيهِ . وَيَكْرِهُهُ وَيُذْنِبُهُ .
 وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ
 بِهِ حَبَّةَ قَلْبِهِ . وَاسْتَصْنَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلِيَّهُ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَانِهِ .
 وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَانِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ .
 وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ
 الْمَلِكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خِيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا
 رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُذِلُّ بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ
 ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَ
 وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَضْطَلُّوا عَلَى عَادَةِ تَجَرِّي .
 سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُبَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلُّوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ
 الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُذِيلُ اللَّهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
 طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
 فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
 صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمَّكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ . وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ . وَثَبَّتَ
 لَهُ أَوْتَادُ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ . جَرَّوهُ بِرِجْلِهِ مِنَ التَّخْتِ . وَسَلَبُوهُ
 ثَوْبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الذِّلِّ وَالنُّكَالِ . وَأَوْتَقُوهُ
 بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
 قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
 الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفَرٌ أَغْبَرٌ . لَيْسَ بِهِ أَنْيْسٌ وَلَا
 رَفِيقٌ . وَلَا حَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نُشْوَةٌ وَلَا نَمَاءٌ .
 وَلَا مُنِيتٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمَّكَانٌ .
 عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخِلَاصِ
 سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاحِ هَدِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ قَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
 أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
 يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَخْرُجُونَ بِالْأَهْبَةِ
 الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّائِلَةَ . فَيَقْبِضُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
 فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَأْبُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ .
 وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْمَفِيحُ . لِذَلِكَ

أَوْزِيرُ الْمُصْلِحِ : فَهَلْ أَطَّلَعَ أَحَدٌ يَمُنُّ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ كُلُّ عَرَفَ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السَّاطِنَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالتَّسَلُّطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَنْقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ أَلْبَاءٍ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَنْثِي . وَلَا مُنِثُ .
 وَيُنَادِي الْخَلَاصَ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَلَامُ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكَّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخَلَاصِ . وَالتَّفَقُّيِّ مِنْ شَرِّكَ الْأَقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنَّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضِمًّا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُنْجِيهَا . وَيُدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْهَلَاكِهَةِ الَّتِي وَقَعْتُ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَانِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالنَّجَّارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَمَخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَتَلَأْهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِيَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَّةِ . وَلَا تَعْقُلَ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجِيزَ الْإِهْمَالَ وَالْإِهْمَالَ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَسْحَارِ وَالنُّدُورِ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتِنَا مَحْدُودَةٌ . وَأَنْفَاسُنَا مَعْدُودَةٌ . وَسَاعَةٌ تُتَمَضِّي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ .
بَحِثْ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ . وَطَرِحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفَارِ . وَجَفَانَا
الْأَصْحَابُ . وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ . وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ .
وَأَحْتَوَشْتْنَا فِي تِلْكَ الْبِيدَاءِ . فَنُورُ الدَّاءِ . نَجِدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ . مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ . فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَائِينَ جَمَاعَةً . وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ . وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ .
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُمِدُّهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ . عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ . إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَّاوُونَ الْعِمَارَةَ . وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ . وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ . وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ . فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ . وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ . وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ . وَبَنَوْا حَوْلَهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى . وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالثَّرَى . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ . وَنَفَائِسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ . وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ . وَصُنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ .
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ . وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُكِهِ . إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ . وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ . وَهُوَ مُسْتَوْفِرٌ لِلرَّحِيلِ . وَرَآبِضٌ
لِلنَّهْوِضِ وَالتَّخْوِيلِ . فَلَمَّا تَكَمَّلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ . لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ . مِمَّنْ كَانَ يَفْقِدُهُ بِرُوحِهِ . مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ .
وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ . مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ . وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ . وَتَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ . وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ .

وَسَلَبُوهُ مَمْلَكَتَهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْحَشَبَةُ . وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
وِثَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَدُقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِقَدَمِهِ . وَحُلَّ فِي سُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَأَسْتَمَرَ فِي أَمْرِ سُورِهِ .
وَأَسْتَمَرَ فِي أَوْفَرِ حُبُورِهِ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن ذانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفِكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عَنْدَ لَيْبِهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَبَلَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَنَمَّتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَحَيْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لَطِيبَ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ مُحِبًّا أَقْصَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْتِحَالِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ نَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاقِدُ الْوَاحِدُ
 وَسَكَبُ النِّعَامِ وَتَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غَضَنَهُ الْمَانِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَأَى الرَّبِيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يُتَرَجِّمُهُ وَرَدُّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَأَجْلِكَ مُسْتَبِطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاهِدُ
 وَكُلُّ لَوْلَايَهُ ذَاكِرٌ مُقَرِّئٌ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ فَأَوَّلُ مَا سَمِعْتُ هَمَمَةَ النِّسِيمِ . يَتَرَنَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَآتِحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَبْنِ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْإِتِّلَافِ . يَعْتَرِفُ بِلُطْفِي ذَوُو الْأَلْطَافِ . وَلَوْلَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِنْغَوَاءِي . بَلْ اخْتِلَافُ فِي الْأَصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَضْلَحُّ أَلَيْكَ وَأَنْفَعُ .
 فَأَهْبُ فِي الرَّبِيعِ شِمَالًا فَانْفَحُ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلُ فَصَلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَأَهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَأَنْمِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَأَهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلُّ ثَمَرَةٍ حَذَّ طَيْبَهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبَهَا .
 وَأَهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمْلُهَا . وَيَخْفَ وَرَقُهَا
 وَيَبْقَى أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو بِي الثَّمَارُ . وَتَرْهُو بِي الْأَزْهَارُ .

وَتَسْلَسُلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتُنْقَحُ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِيرِ بِأَفْئِنِّهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ الْوَانِيهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَغْتَمُوا وَقْتِي فَأَلَوْتُ سَيْفُ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
 فِي بَقَائِي زُورُ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ الْمَدْحِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
 أَنِّي حَيْثُ مَا نَبْتُ دَائِرَ الْأَشْوَاءِ تَرَايُنِي . وَتُجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْغَالِ مَطْرُوحُ . وَيَذْبَالِ شَوْكِ مَجْرُوحُ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحُ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْوَرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمَرَادَ . فَيَيْنَا
 أَنَا أَرْفَلُ فِي حُلْلِ النَّصَارَةِ . إِذْ أَقْطَعْتَنِي أَيْدِي النَّصَارَةِ . فَأَسْلَمْتَنِي
 مِنْ بَيْنِ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كَبْدِي . وَيَمِزُّ جِلْدِي . وَيَمُطِرُ دَمِي النَّدِي . لَا يُتِمُّ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جَسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاصِرًا . فَهَرَبِي سِوَاهُ إِنْ تَأَمَّاتَ وَالْبُعْدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ الْأَسِيمُ بِسِرِّهِ .
 وَنَشَرَ السَّحَابُ عَمُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذُخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّيِّعُ

بِقَلَانِدِ قُفْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدَ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنْ الرُّوضِ الْأَنْبِقِ
 أَزْهَارَهُ . فَقُمَ بِنَا تَفَرُّجٍ . وَنَتِيهِ بِحُسْنِنَا وَتَبَهَّرَجَ . فَأَيَّامَ السُّرُورِ تَخْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتَهُ بِأَسْرِهَا تَحْتَسِرُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَاحِينَ . بِئْسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جُمِعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 تَزَلَّتْ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ تَأْمَلِكِ الصَّوَابِ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْمَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِوِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى التُّزِهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُعْجِبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَآيَلِ غَضَبُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَكَرَّمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامُ الشَّابِّ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِيسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْخَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّابُّ . أَخْضَرَ الْجِلْبَابِ وَالثِّيَابِ .
 مُخْتَلِفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشَمُّ
 وَيَذُبُّ . وَيُحَوَّلُ خِطَابُهُ وَيُثْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْنَوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

إشارة الترجس

١٢١ فَأَجَابَهُ التَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِمُهُمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلِمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْثَقُ بِالْمَرْيَمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِعًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةٌ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى الْتَدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِمَهْدٍ مِنْ وَصَالِي نَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَاسِي بِصَفْوِهِ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ الْحَيْنِ وَالْأَمْسِجِدِ لِبَاسِي . أَتَأَمَّحُ تَقْصِيرِي
 فَأُطَرِّقُ أَطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأُفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَأُطَرِّقُ اعْتِرَافُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرًا إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُتُّ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلِّي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا نَافِعِي عِلْمِي وَلَا عَمَلِي
 مُقَلَّتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَأُ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَّائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مُوهٍ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَيْئِهِ . فَتَمَّائِلَ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّائِلِ أَعْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَظْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي نَسَمَاتُ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالْإِلَى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرَدَ . وَالْإِلَى الزَّهْرِ وَقَدْ اُنْتَقَدَ . وَالْإِلَى الْحَبِّ وَقَدْ اُنْتَمَدَ .
 وَالْإِلَى الْفُضْنِ الْيَاسِ وَقَدْ كُسِيَ بَعْدَ مَا اُنْجَرَدَ . وَالْإِلَى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اُنْتَحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمُوجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدِ اُنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لَكَ تَأْيِيدٌ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبْلِيكَتَ بِلَا بِلِ سَعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تُذَرِّكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعَطُ عَلَى الْوَرْدِ فَأُخْبِرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 رُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصِدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِحُمْرَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتِّلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْإِتِّلَافِ خِلَافٌ . فَتَقَطَّفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَتُخْتَطَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْإِحْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فَنِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَانُ بَيْنِ غُدُونَا وَرَوَاحِنَا

إشارة النفس

١٢٣ فَتَنْفَسُ الْبَتَفْسُجُ تَنْفَسُ الصُّعْدَاءُ . وَتَأْوَهُ تَأْوَهُ الْبُعْدَاءُ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَدًا . وَأَكُنْشِي بِالْخَوْلِ أَثَوَابًا جَدًّا . أَفَتَنِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقَتْ لِي جِلْدًا
وَلَا جِلْدًا . فَمَا أَنْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَابِسًا
مُجَرَّدًا . وَجُمْلَةُ خُصُولِي . أَتَنِي أَوْخَذُ أَيَّامِ خُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أُصُولِي .
وَأُمنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَقَوَّى عَلَى ضَعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَأُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَعَّمُ بِي مَنْ حَضَرَ نِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مَنْ نَظَرَ نِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالنَّجَسِ سُومٍ . وَيُعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ الشَّاءِ بِاللُّومِ . فَأَمْسِي مِمَّا أَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّصَارَةِ آئِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَتَفَشَّشُ بِي الْأَوْرَامُ الْقَاشِيَةُ . وَتُتَابِنُ الْأَلَامُ
الْقَاشِيَةُ . وَتُلَطَّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاطِيَةُ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَذْوَاءُ
الْعَادِيَةُ . فَالنَّاسُ مُتَمَتِّعُونَ بِيَابِسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَدَّكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَرْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ الْبَسْفِجِ إِذَا غَدَا يَمْحِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِمَتْ أَحْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنَ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِرَامِ .
فِيهَا مَا يُضَامُ . وَيُثَرُّ بَعْدَ النَّظَامِ . وَبِالْثَمَنِ النَّجَسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَايِرُ اللَّيَّامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللَّوَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .
 أَرَأَيْكَ الْوَحْشَ فِي النَّقَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ . أُحِبُّ الْخُلُوتَ .
 وَأَسْتَوْطِنُ الْقُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أَهْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْمَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضِ تَجْدٍ نَازِلٍ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيجِ . وَقَعْتُ بِمُجَاوِرَةِ
 النَّارِ وَالشَّيْخِ . تَعَبْتُ بِبُشْرِي الرِّيحَ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدَيْسِ
 وَالْتَسَبِيعِ . لَا يَنْشَقُّنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَصَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السُّيَّاحِ فِي الْغُدُورِ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْخَرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَى بِالنِّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَالنَّسِيمِ يَرِيمُنِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أُعْطِرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأَرْوِّحُ النَّادِي . بِبُشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْخَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَائِحٍ وَغَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ قَتَنَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدُمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ يِي بَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي تَوْبِي
 أَلْقَانِي . وَأَنَا مَذْهُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحُضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمَنَاحِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي تَحْشُوا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسُنَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِضَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمَنْظَرِ سَمِيَّتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيَمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزَاهِيرِ تَشْرِي . لَكِنَّ الطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِمَّنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ .

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَائِي
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا تَحْشُورَةً بِحَشَائِي
 وَاحْيَائِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاتَّجَلَّتِي وَاحْيَائِي
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَصْلُ الْخِطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

فَأَنْبَسَ وَسَاحَ فِي فَسِيحِ الرِّحَابِ . وَقَالَ : سُجَّانَ اللَّهِ أَ يُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَائِثُ طَلِي وَوَبْلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرْ بَرًا بِبِرِّي . وَالْبَجَرِ دُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تَذِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ وَدَرَارًا .
فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْهَطَامُ . فَأَقْطَعُ تَذِي عَنْهُ
فِيضُجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَيْفَ بَعَثَهُ فِي أُنْسِكَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورَهُ فِي بَيْتِ قَطْرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ أَلْجَوِ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا مُصْغٍ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَادَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يَكَاثُمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَفَانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّيِّحِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعَ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ فَرَحَانُ .
وَفِي الْغِيَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَإِنَّا بِنَعْمَتِي طَرَبَانُ .
وَمِنْ نَشْوَتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَيْفَ أَنَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَانِثًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرَبًا . وَأَبُوحُ تَرْحًا لَا فَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبَلَّلتُ عَلَى بَابِهَا . وَلَا تَزْهَتْ إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَصْحَى لَهَا . وَلَا
خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرْتُ .
وَلَا عَيْشَةً حُلُوءَةً إِلَّا تَمَرَّرْتُ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يَحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشِ
يَذُولُ . وَوَصْلٍ عَنْ قَرِيبٍ مَفْصُولٍ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْحِمَى رَوْحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
رَوْضُ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضٍ يَمَقُّ أَوْ أَصْفَرٍ فَقَعِ أَوْ أَخْضَرٍ رَقَقِ أَوْ أَحْمَرٍ فَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الْوَصْلِ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانِي

إشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ الْبِرَازِ . وَنَحَكَ لَقَدْ صَغُرَ جُرْمُكَ .
وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّرِيرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يَهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ الْإِنْسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَآهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَفْتَضَحَ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسَبِيلِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرِثْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْقَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَقْتَصْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجُلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيَّةِ بَحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غُرَبْتُ . وَقُرَبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَأَمْتَحْتُ حِينَ أَمْتَحْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُودِّي تَخْلِيَطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُفَّةٍ : لَا تَمُدَّنْ عَيْنِيكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تُحْرِكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقِي
 لَا أَتَأَلَّمُ . وَمِمَّا أَلَا قِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُفِّتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَضَلَّنِي مُودِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِفْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَمَارُفَعْتُ الْكُفَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَانْكَفَّهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكَتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قُرْبَ مَنِيَّتِي لِزَخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَهَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمْلَتْهُ ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعْمَرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِوِظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ) : قَيْنَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طُوقَ الْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِيْنِي عَنْ ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طُوقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطُوقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمَقْلَدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَّانَةِ . تُدْبِتُ لِحْمِلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الْوَسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الْصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَالِفٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَائِلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جَانِسِي .
 فَبِشْرَى بِالْتَّخَرُّجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّذْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَجِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحٍ سَائِحٍ . جَازِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَاءَ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 نَهْيًا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْدِ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِكٍ يُعِيْضُنِي عَنْ
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَأَنْتَابُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَذَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمَيْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طُوقُ .
 وَبِالْبِشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُحْزِنُهُ عَذُولٌ وَلَا يَثْنِي مُعْتَفُهُ عِذَانُهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تُحْمِلُهُ رِزَانُهُ

وَحَفِظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَزَانَهُ

إشارة لخطاف

١٣٠ (قَالَ) : فَيَيْنَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ . وَأَشْرَافَ
الْأَوْصَافِ . إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَّافٍ . وَهُوَ بِاللَّيْلِ قَدْ طَافَ . فَقُلْتُ :
مَا لِي أَرَاكَ لِلَّيْلِ لَازِمًا . وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا . فَلَوْ كُنْتُ فِي
أَمْرِكَ حَازِمًا . لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ . وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَنْسِكَ .
ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ . وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
عَامِرَةٌ . فَقَالَ : يَا كَيْفَ الطَّبْعُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ . إِسْمَعْ تَرْجَمَةَ حَالِي .
وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْتَحَالِي . إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي . وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي .
وَأَسْتَوِطَنْتُ السُّقُوفَ . دُونَ الشَّعَابِ وَالْكُهُوفِ . لِقَضِيَّةِ الْغُرْبَةِ .
وَلِزُومِ آدَابِ الصُّحْبَةِ . صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا .
وَجَاوَزْتُ خَيْرَ أَمْنِي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا . فَأَعِيشْ عِيشَ الْغُرَبَاءِ . وَأَفُوزْ
بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ . وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرْبَتِهِ . مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ .
فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ . غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ . أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ .
وَأَكْتَسِبُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقِفَارِ . فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ . وَلَا لِأَهْلِ
الدَّارِ كَأَقْدَارِ . بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي . وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمٌ
جَارِي . أَكْثَرُ سَوَادُهُمْ . وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ . فَرُهِدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ .
هُوَ الَّذِي حَبَّنِي إِلَيْهِمْ . فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ . لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
بُيُوتِهِمْ . فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أَنْدِيَّتِهِمْ . لَا فِي أَغْذِيَّتِهِمْ . مُزَاجُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّهِبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسِسٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بَرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَارْهَدْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرْكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَفَّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَفُتَّ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْخَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَائِثِقًا . وَلَا
 لِفِعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شُبِّهِ زَادَ بِهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ تَرِّهِ فَرَجَ بِهِمْ
 وَأَعْيَادَهُمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعُزْلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عُزْلَةً . فَهَلَا أَسَاسُنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَأَعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَأْكَلِ
 وَالْأَكَلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أُرَاجِحُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخَرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْفَرَنَاءِ فَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يُسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَانْتِسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنَزِلِي الْخَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَاعَلِي وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِينُ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمٍ وَلَا زُهَّةٍ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذْتُ وَوَعِظْتُهُ بِجَمَاعِ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَإِيسَ عُجْبِي

إشارة الدرة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدُّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَتَمَّتْ عَزِيَّتِي . كَيْفَ غَاثَ قِيَّتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْضَاهُ
 أَبْنَاءُ جِنْسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ فَرَأَيْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَقْصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَلَذِكْ زَاجَتَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَخَلَّقُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلْتَ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ النَّدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصَحِّ النَّاسِ مَخْبِرٌ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَظْهَرُ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَاسَ فِي صَدْرِ مَجَاسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي التَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أَزَاحِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَا حِمِ . لَعَلَّ يُوْهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمِ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَايَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة اليك

١٣٣ (قَالَ) نَقَاتُ : تَأَلَّهْ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْخُلُوتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمُنِعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وَضِيفَةً . أَوْقِظُ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْجِيفَةِ . وَأُبَشِّرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصْفَقُ بِجَنَاحِي إِشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأُغْلِنُ بِالصَّبَاحِ تَنْبِيْهَا لِلنِّيَامِ . فَتَصْفِقُ الْجَنَاحُ . بُشْرَى بِالْجَنَاحِ . وَتَرْدِيدُ
الصَّبَاحِ . دَعَا لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَضِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْلُ عَنْ

وزدي سراً ولا إجهاراً . قسمت وظائف الطاعات . على جميع الساعات .
فأتم ساعة . إلا ولي فيها وظيفة طاعة . في تعرف المواعيت . ولا
تغلو قيمتي ولو اشتريت بالمواعيت . فهذا حالي . مع قيامي على عيالي .
وإشفاقي على أطفالي . فأنا بين الدجاج . أقتع بالأجاج . ولا أختصر
دونهم بحبة . ولا أجمع دونهم بشربة . وهذه حقيقة المحبة . إن
رأيت حبة دعوتهم إليها . ودلتهم عليها . فمن شأني الإيثار . إذا
حصل الفئار . ثم إني طوع لأهل الدار . أصبر لهم على سوء الجوار .
يذبحون أفراخي . وأنا لهم كالخلل المواخي . ويأثمون أتباعي . وأنا في
نفعهم ساعي . فهذه شيمة أوصافي . وسجية أنصافي . والله لي كافي :
بذكر الله يدفع كل خوف ويدنو الخير ممن يرتجيه
ولكن أين من يصني ويدري معاني ما أقول ومن يعيه

إشارة البط

١٣٤ (قال) فنادى البط . وهو في الماء ينعط . وقال : يا من بدني
همته أنخط . لا أنت مع الطير فترقي . ولا تسلم من الضير فتسقي .
فأنت كالميت لا أرضاً تقطع . ولا لزومك في مكان واحد ينفع .
سقوط نفسك القالك على المزابل . ووقوفك عند الطل حجبك عن
أوابل . وماريج في المتاجر من لم يقطع المراحل . ولا يظفر بالجواهر
من هو واقف بالساحل . فلو ثبت تمكينك . وقوي يقينك . لطرت في
أهواء . ومشيت على الماء . ألم ترني كيف ملكت هواي . فملك

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَائِحٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَائِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَثْرِي . فَأُغْوَصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَانِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَا لِي بِهِ . وَأُطْلَعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَنْظُرْ إِلَّا بِزَيْدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَخْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَلَجَاغِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَطِّمِ لَحْجِهِ وَأُمُوجِهِ . فَالسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذَبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَعَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى تَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا لَكَ يَتَمَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذَابِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَالِبَا لِمَعَايِ مَهْرُ الْمَعَايِ غَالِي
 قَدِمَ فَأَوَّلُ نَقْدٍ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا أُسْتَعَذَّبَ الْمَوْتُ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
 حِمَاءُ دُونَ الْوَصَالِ حِمَّةٌ حَذِي النَّصَالِ
 كَمَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي خُفَّتْ بِسُرِّ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذَوُ الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَأَتْرُكْ مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

١٣٥ (قَالَ) : قَنَادَتِ النَّحْلَةُ : يَالَهَا مِنْ نَحْلَةٍ . مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رِجْلَةٌ .
 فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ . وَقِيلَ دَعَوَاهُ . وَعُلِمَ صَفَاهُ سِرِّدٍ مِنْ تَجَوَّاهُ .
 وَمَنْ مَحَا حَقِيقَةَ دَعَوَاهُ . ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ . فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ .
 وَلَا تُرَبِّ فَرْعًا يَنْقُضُهُ أَصْلُكَ . أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ . طَعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي .
 كَيْفَ رُفِعَتْ رُتَبَتِي . وَعَلَامَنْصَبِي . وَكَمَلْ أَدَبِي . لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ
 الْحَلَالَ . وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ . حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ . أَسْلَاكَ سُبُلَ
 رَبِّي ذُلًّا . وَأَشْكُرُ مِنْ نِعَمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا . أَبْتَنِي الْمُبَاحَ . الَّذِي لَيْسَ
 عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ . فَأَجْعَلْ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي . وَمِنْ مُبَاحٍ الْأَشْجَارِ
 قُوتِي . أَبْتَنِي بُيُوتًا يَخْجُزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا . وَيَتَحَيَّرُ أَقَايِدُسُ فِي
 حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا . ثُمَّ أَسْقُطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ . فَلَا أَكُلُ ثَمَرَةً .
 وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً . بَلْ أَتَنَاولُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ . فَأَتَغَدَّى بِهِ
 قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ . ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي . وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي . فَأَشْتَغِلُ
 فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي . وَأَخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي . وَلَا أَفْتُرُ عَنْ
 الذِّكْرِ . وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ . قَدْ أَتَمَجَّ عَلَيَّ وَعَمَلِي . شَمِي وَعَسَلِي .
 فَالْشَّمْعُ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْمَنْقُولِ . وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ . فَالْشَّمْعُ لِلضِّيَاءِ .
 وَالْعَسَلُ لِلشِّفَاءِ . وَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَاءِي . وَإِنْ أَتَانِي
 عَالِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي . فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي . حَتَّى أَجْرِعَهُ مَرَادَةً
 لِسَمِي . وَلَا أَنْيْلُهُ شَهِيدِي . إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي . فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

مَنِّي قَهْرًا . أَحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَهْبِرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى صِرِّ هَجْرِي إِنْ رُمِزْتَ مَنِّي وَصَالَا
وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمِتْ إِذَا شِئْتَ تَحِيًّا وَأَسْتَعِجِلْ الْآجَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا لَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعِي إِلَيْهِ بِسْمِعِهِ . فَإِذَا هُوَ
يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمُعِ غِزَارِ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْنِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
أَبِي . وَفِي الْإِيجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ تَحْرِيقِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَيَتِمَّا نَحْنُ مُجْتَمِعُونَ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِسُونَ .
إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَطُ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
فَأَفْرَدْتُ عَنْهُ وَأَفْرَدَعَنِي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَانَ مَنِّي . ثُمَّ سُلِطَتْ عَلَى النَّارِ .
وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَبِدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِ .
وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقِ .

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَائِمٌ فِي الْخِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
 وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرِقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذِّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمْتَعٌ
 بِمَخِيرِي . فَكَيْفَ أَلَامُ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنْ أَتْرَاشٍ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذَا هَبَ أَضْوَاءِي . فَأَحْرِقُهُ
 مَكْفَاةً لِعَمَلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مِلْتِ الْأَرْضُ
 فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مِلْتِ أَوْبَاشًا لَمَا أَخْفَوْا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزٌ لِمَنْ
 تَمَعَّنَهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
 فَهْدَايَ وَضَلَالِي بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
 لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا فِي تَشْرِعَةِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ تَسِمَتْ صَوْتُ نُرَابٍ . يَتَعَقُّ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَنُوحُ نُوحُ الْمَصَابِ .
 وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَبَسَ مِنَ الْحِدَادِ جِلْبَابِ .
 وَرَضِيَ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْرِيدِ الثِّيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ أَتَدَّ
 كَرَّرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَّرْتَ مَا كَانَ حُلُوشَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ شَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَّرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشَامٌ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْأَيْبِ
 الْحَافِرِ . الْأُمُّ مِنْ جَادِرٍ . فَنَادَانِي بِلسَانِ زَجَرِهِ الْقَصِيجِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحَاكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَصِيجِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالْقَصِيجُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالصَّرِيحِ .
 كَانَ الْمَوَاعِظُ فِي أُذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامُ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّيْجِ .
 أَمَا تَذَكُرُ رَحِيْلَكَ مِنْ هَذَا الْفَيْحِ الْقَصِيجِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ نُوحٌ نُوحٌ . وَهُوَ يَبْكِي وَيُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحُ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيُّ
 شَمْلٍ لَمْ يَتَمَزَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍّ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
 يَقْطَعَهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَذْيِيرٍ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعَقِّبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ . مَا
 زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُو الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذَوُو الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تُلَوِّمُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشِيمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

أَلَا حِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشْتَخِ بِرِشَاحِي . وَوَأَفْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِي بِالنُّوحِ . مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي . لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عُنْجُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِمُخْرَابِ الْمَنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكْلَ . غُصَّةَ الْمَآكِلِ . وَأَبْشِرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الْمَرَاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مَنْ صَدَقَكَ . وَمَنْ عَذَاكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَّرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَتَى ظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمْرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كَلَامًا عَائِنْتُ رَكْبًا حَذَا بِهِمْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعَنِّفُنِي الْجَهْلُولُ إِذَا رَأَانِي وَقَدْ أَلَيْسَتْ أَثْوَابُ الْجِدَادِ
 قُلْتُ لَهُ أَتَعْظُمُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصْنَعْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدُعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثْوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَائِنْتُ رَبْعًا أَنْادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سَوَى خُرْسِ الْجِمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي مِنْ الْبَيْنِ الْمَقْتَتِ لَهْوَادِ
 تَقِظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمُ إِشَارَةً مَا تُشِيرُ بِهِ الْغَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِيهَا وَغَادٍ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَمَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

إشارة إليه

١٣٨ - (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَذَّرَنِي مَقَتِي .
 إِنصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْظِمَنَ الطَّيْرِ . الْمُتَأَسِّفُ عَلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَغَتْ الضَّمَاثُ . لَنَفَذْتَ الْبَصَائِرُ . وَاهْتَدَى السَّارِرُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَازِرُ . وَلَوْ طَابَتْ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَازِيرُ . وَلَوْ شَرَحْتَ السَّرَائِرُ
 لَظَهَرَتْ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ أَنْشَرَحْتَ الصُّدُورُ . لَظَهَرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعْتَ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرْتَ الْقُلُوبُ . لَظَهَرَتْ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبِ . وَأَوْ خَلَعْتَ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غِيبْتَ عَنْ عَالَمِ الْعَيْبِ . أَشَاهَدْتَ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقُ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَأَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَّا أَنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَلَأَةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَأَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الزُّلْفَى لَدَيْهِ . وَكَانَتْكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا أَوْفَكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاعِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرَمَتْكَ بَرُودَةُ عَزَمِكَ وَأَحْرَقَتْكَ حَرَارَةُ حِرْصِكَ . وَأَثَلَتْكَ نُخْمَةُ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَتْكَ عُفُونَةُ رُعُونَتِكَ . وَبَرَسَمَتْكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُقَعَّدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَرَةُ. قَدْ أُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ نَبِيحًا. وَالتَّجِيحَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهُدْهُدِ حِينَ حَسَنْتَ سِيرَتُهُ. وَصَفَتْ سَرِيرَتُهُ. كَيْفَ
 نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ. فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ. مَا تَحْجُبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْتَجَّاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَّاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَّاجٍ. وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صِغَرِ الْجُثْمَانِ. مَا لَمْ يُوْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نُصْحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَأَدَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدَّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينَ الدُّبَابِ. وَنَبِيحِ
 الْكَلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَلَمُ السَّرَّابِ. وَضِيَاءُ الضَّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَدْنَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخَطَابِ. مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ. يَلْقُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ اللَّبَابِ.
 فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. يَا مُنْجُوبًا عَنْ الْمُسَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ. تَأَدَّبَ بِأَدَابِي. فَإِنْ فَعَلَ الْجَمِيلُ دَائِي.
 وَسُنْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَهِيرًا. لَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاجِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتَبِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطَارِدُ فَأَعُودُ . وَأُضْرِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَمُودِ . وَأَنَا حَافِظُ دَاوُدَ بَاقٍ عَلَى الْمُسُودِ . أَفُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودَ . وَأَصُومُ وَالْخِيَانُ مَمْدُودَ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودَ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودَ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْهُودَ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودَ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرَتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبْرَتُ . لَا أَرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتِ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِينِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصِيبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُخْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجَدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
جَاهِهِمْ . وَأَدُومُ عَلَى وَفَاهِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَافِي فَمَتَّسِكْ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقْ بِحَبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمْ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِحَبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدَرٌ وَلَكِنْ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْعَالِ
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي	أَنْ أَحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتُ الْأَيَّامُ مَرَّ النَّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَهْمُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا إِعْرَاضِي	وَفِرَارًا مِنْ مَرِّ ذَلِّ السُّوَالِ

فَخَلَّالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَايِ يَفْقَنُ كُلَّ خِلَالِ

إشارة للجمال

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ، إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ، إِنْ كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ الْكَلْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا، فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَلَدًا وَصَبْرًا، فَإِنَّ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ، وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ، فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ، مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ، هَذَا أَنَا أَجْمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ، وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلِ الطُّوَالَ، وَأَكْبَادُ الْأَهْوَالِ، وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النِّكَالِ، وَلَا يَعْتَرِينِي فِي ذَلِكَ مَلَالٌ، وَلَا أَصُولُ صَوْلَةِ الْأَرْذَالِ، بَلْ أَنْقَادُ لِطِفْلِ الصَّغِيرِ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَضَعْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ، فَأَنَا الذَّلُولُ، الَّذِي لِلْأَثَمَالِ حُمُولٌ، وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ، وَلَسْتُ بِالْحَائِنِ وَلَا بِالْمُلُولِ، وَلَا بِالصَّائِلِ عَنِ الْمَصُولِ، وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ، أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ، مَا تَعَجَّزُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولُ، وَأَصَابِرُ فِي ظِلِّ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا أَحُولُ، فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي، وَبَلَغْتُ مَآرِبِي، أَلَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي، وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي، أَسْكَنْتُ مِنْ الْمُبَاحِ زَادِي، وَإِنْ سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي، سَأَمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي، وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي، وَمَدَدْتُ عُنْقِي لِبُلُوغِ مُرَادِي، فَإِنْ ضَلَلْتُ فَالْدَّائِلُ هَادِي، وَإِنْ زَلَلْتُ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي، فَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِكُمْ، فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمُقَامٍ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُبُلَ الْمَآثِرِ . تَعْلَمُ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصِدْقَ الطَّلَبِ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَا أَنَا أَجْمَلُ
 مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَأَجْتَهِدُ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
 وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ تَحْجَبُهُ . فَلَا يُدْرِكُ مِنِّي إِلَّا الْغُبَارُ . وَلَا يَسْمَعُ عَنِّي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ أَجْمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْمَجْرَّبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ . فَأَنَا الْمُجْتَهِدُ السَّابِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَا . وَأَوَانَ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَّحْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لِمَقَلِ أَجْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِتَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ ثُمَّ حُقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَهْطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ ثَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السِّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكِرُهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
 عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمَقْصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْحُدُودَ . وَأَوْثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْقُيُودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
 الْمَحْدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْثَقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلَّ سَائِسِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشِكَا لِي . كَيْلًا أُصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَالْجَنَّتُ
 بِجَا مِي . لَيْلًا يَفْسُدُ عَلَى نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَابِي . خَشْيَةً مِنْ
 غَفَلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنُعِلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودُ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأَلْهِمْتُ الثَّقَدِيسَ وَالْتَسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَضْتُ فِي مَيْدَانٍ وَمَا أَبْدَيْتُ عَجْزًا .
 فَكَمْ كُسِيتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَزْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ خِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فَاقَ فَهَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبَتْهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنْ أَلْفَعَالٍ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَزِّ : تَاللَّهِ لَيْسَتْ أَلْفُحُولِيَّةٌ بِالصُّورِ وَأَلْهِيَ كُلِّ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَذْلِ
 النِّشَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلُهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أَوْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بِزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرًّا . فَإِذَا نَمَتْ
 أَيَّامُ حَمْلِي . وَأَذْنَتْ الْقُدْرَةُ بِجَمْعِ شَمْلِي . إِنْفَصَلَ عَنِ ذَلِكَ الْحَمْلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ وَصَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالْتَّرِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخَالِيطِ الْأَنْغَدِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غِدَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأُشْرِعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِأُمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَتَدِيرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَتَسَبِّحُ
 بِإِلْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسْئَلُ مِنْ لُعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَأَيسَ . تُرِينُ
 اللَّالِيسَ . فَأَلْمُلُوكُ تَفْتَحُ بِخَزَائِي . وَالسَّلَاطِينُ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرْيَ . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَّيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمَنُسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمُضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْإِكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ أَعْتَدَى عَلَى ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْمُخْصُوصَةُ بِأَوْهَنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ أَنْتِ نَسِجُكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَتَجْمَعُ

لِلثَّرَابِ . وَأَنَا نَسِجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَثْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بَضْعُكَ
الْمِثْلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النُّجْمِ إِذَا أَقْلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَشْبُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لَأُمٍّ عَلَيَّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجُ لِنَفْسِي أَنْبَاتٌ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَقُولُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْحَقَايَا . فَأَلْقِ لِعَايِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنْ الْخُلْطَةِ وَآفَاتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدْ مِنْ طَاقَاتِ غَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَأَتَعَلَّقُ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . مُمَسَّكَةً بِرِجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَرُّ بِذَلِكَ الْحَالَةَ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ . فَتَمُرُّ الذُّبَابَةُ فَاخْتِطَفَهَا بِحَبْلِ كَيْدِي . وَأَوْدَعَهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغَدَّارَةُ . الَّتِي بَزَخَتْهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جِئْتِ
زِينَةَ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلَهُوَ لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مَحْصُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَصُولٌ . فَيَا وَنَحْ مَحْرُومِ حَرَمِ السُّوْلِ :

أَيُّهَا الْمُنْجَبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا يَتُّ مَثَوَاكِ فَمُوتِي

إشارة النملة

١٤٤ فَقَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرَمِي فَنَمْ لَهُ . وَتَعْلَمُ مِنِّي قُوَّةَ الْأَسْتَعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَأَنْظُرِي إِلَى غُرَّةِ عَزَمِي . وَصِحَّةِ حَزَمِي . وَتَأَمَّلِي كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . قَائِلَ مَا فَتَحَتْ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلِمَتُ بِجَمْعِ الْمُؤُونَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاحِ . مَا لَا يُذِرُكَ الْعَالِمُ الرَّاسِخُ . فَأَذِيرُ مَا أَذْخَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِهَوْتِي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْبَرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدِيرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلِقَهَا أَرْبَعَ فَلَقٍ فَإِنَّهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةَ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَتُخَفِّفُهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَهْصَا . وَأَنْهَمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحِرْصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَفَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَهِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِلُ خَيْرِهَا . لِتَنْفَعُ غَيْرَهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ الْأَشْرَاكِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطْشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَخْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَأُهَا دَابَّةٌ . فَتُلْقَى مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيَهُنَّ . فَتَقْسِمُهُ بِالسُّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٌّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقاء

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ) : لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فَهِمْتُمْ رَمَزَ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَنَسْتَمِسِكْ بِسَبِيهِ . وَنَعِشَ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا
أَنَّ بِجَزَائِرِ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنْقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَنِيرَانٌ مُخْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ الْتَّصَالِ . فَأَقِمْنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكَ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : قَفَرُوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنَحَةٍ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظَمَاءِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا . فَسَلَكْنَ سَبِيلًا عَدَلًا .
إِنْ أَخَذْنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتْهُنَّ رُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلْنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهَمَّ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَمُحَاقٍ .
وَتَلَّاشٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَعَاشٍ وَأَسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمُ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ. وَتَزَايَدَ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خِمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانَانَا.
وَجِئْنَا فَرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَا أَوْطَانَنَا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا زُرِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْمَحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
وَصَبَرْنَا عَلَى ظِلْمِ الْهَوَاجِرِ. ثُمَّ لَا نَشْتَغِلُ بِالْمَالِيسِ وَالْمَفَاحِرِ. فَوَالَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا زُرِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَيَحْكُمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِذِلَّةٍ الْعَبِيدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا زُرِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَإِنَّا الْمَلِكُ شِئْتُمْ أَوْ أَيْتُمْ.
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ. فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
زَجَجْتَ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا. وَنَحَلْ عَرَانَا. وَأَضْمَحَلْ وَجُودُنَا مِمَّا أَعْتَرَانَا.
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ أَفْتِقَادُكُمْ. وَثَبَتَ انْكِسَارُكُمْ.
فَعَلِي أَنْجِبَارُكُمْ. أَنْظَلُّوهُمَا فِدَاوُوا الْعَلِيلَ. فِي ظِلِّي الظِّلِيلَ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ. فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ:

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى تَفَحَّاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقُ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعِشْ هَنِيئًا بِوَصْلِ غَيْرِ مُنْقَصِلٍ مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَحُجُبِ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حَيِّهِ أَنْصَدَعَتْ

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعَرِّبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبَعْدِ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْقُرْضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصْلِحَةِ
وَالْمُفْسَدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرِّجَالُ وَحَوْلُهُ يَتَكَفَّفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى أَشْمُهُ عَلَى مَرَمِ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَنفَقَهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عَصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيُلْبِسُهُ
الْفَنَى وَيُلْبِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَاءِ قِيلَ: فَأَلْكَ كَلَامُ قَالَ: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرُّجْحَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكِرِيمِيٌّ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَالْخَالِصُ
وَالْمَشُوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِيزُ وَالسُّتُوقُ وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ
وَسَلَمٌ يَدْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَأَدِلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالتَّخْصِيلِ وَإِذْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

لإظهار الغامض المشتبه. وأداة لكشف الخفي الملتبس. وبه تعرف
 ربوبية الرب وحجة الرسل. ويختار به من شبهات المقالات. وفساد
 التأويلات. وبه تدفع مضلات الأهواء والنحل. وتبطل تأويلات
 الأديان والميل. وينزه عن غباوة التقليد وعمه التردد. قيل :
 فاللسان. قال : أداة الضمائر وآلة الخواطر. ونتائج العقل وأدلة
 لمعرفة الأجناس والعناصر. وعلم الأغراض والجواهر. وعمل
 الأشخاص والصور. واختلاف الأخلاق والطبائع والسجاياء والغرائز.
 قيل : فالنجوم. قال : معرفة الأهلّة ومقادير الأظلة. وسموت البلدان.
 وإفدام الزوال في كل وقت وزمان. وعلم ساعات الليل والنهار في
 الزيادة والنقصان. وأمارات النيوث والأمطار. وأوقات سلامة
 الزرع والثمار. قيل : فالطب. قال : سائس الأبدان. والمنبه على
 طبائع الحيوان. وبه يكون حفظ الصحة. ومروءة العلة. والوقوف على
 المنافع والمضار. والإبانة عن خبايا الأسرار. وعلم يضطر إليه الخاص
 والعام. ويفتقر إليه الناس والأنعام. ولا يستغني عنه الصغير والكبير.
 ويحتاج إليه الحفير والخطير. قيل : فالنحو. قال : ينسبط من العمى
 اللسان. ويجري من الحصر البيان. وبه يسلم من هجنة اللحن وتخريف
 القول. وهو آلة لصواب المنطق وتسيّد كلام العرب. قيل :
 فالجساب. قال : علم طبيعي لا خلاف عليه. واضطراري لا مطمئن
 فيه. ثابت الدلالة صائب المقالة. واضح البرهان شديد البيان.

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ . حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ . مُؤَدٍّ إِلَى
الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ . وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ . وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ . وَقِيَامُ
أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِجَارِ . وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ . قِيلَ :
فَالْعَرُوضُ . قَالَ : مِيزَانُ الشِّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ . وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
الْفَهْمِ . وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ . وَقَلْبٌ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ .
قِيلَ : فَالْحِطُّ . قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّيْرِ . وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
الْخَبَرِ . وَحَافِظُ الْأَثَرِ . وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا . وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . فَهَذَا
آخِرُ مَا حَكِيَ عَنْ الْجَلَّاحِظِ فِي مَذْهِبِ الْعُلُومِ (طَرَائِفُ الطَّائِفِ)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشِّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ .
وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرَاءِ فِي الْمَحْفُوظِ مِنْهُ وَالْمَسْمُوعِ . فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ
عَلَى سَاحِلِهِ . وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ . فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكَثَّرُ فَوَائِدُهُ . وَتَنَشَّبَ مَقَاصِدُهُ . وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ
أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ . فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى الشِّعْرِ الْقَدِيمِ . إِذِ
الْمُرَادُ مِنَ الشِّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ . فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
اللطيف . فَمَتَى وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيتَ فَهُوَ بَابِلٌ . وَقَدْ
اكتفيتُ مِنْ هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عَبَّادَةَ الْوَلِيدِ
وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَدَبِّئِ . وَهُوَ لَا إِلَهَ هُمْ لَا تُ الشِّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ .
الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَتَحَسَّنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

غَرَابَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقَدَمَاءِ . وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ . أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ . وَصَقِلَ الْبَابُ وَأَذْهَانَ .
قَدْ شُهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ . فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
عَنْ مَقَامِ الْإِغْرَابِ . الَّذِي يَرَّزُ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ . وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ . فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ . وَرَاضَ فِي كَرِهِ بِرَاضِيهِ . أَطَاعَتْهُ أَعِنَّةُ
الْكَلَامِ . وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ . فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
قَوْلَ حَكِيمٍ . وَتَعَلَّمَ فَتَوَقَّ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ . وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْجُبَّارِيُّ
فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى . وَارَادَ أَنْ يَشْعُرَ قَعْنَى . وَلَقَدْ
حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَيَنِينَا يَكُونُ فِي شَطَفِ نَجْدٍ
حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرِيفِ أَمْرَاقٍ . وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ . وَالشَّاعِرُ الْجُبَّارِيُّ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ . وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عِلْمِهِ . فَإِنَّ أَبَا
عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمَقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ . فِي اللَّفْظِ
الْمُصَوَّغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ . فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ بُعْدَ الْمَرَامِ . مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
الْأَفْهَامِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ . وَرَقِيَ فِي
دِيَابِجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَتَقَصَّرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ . وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ . وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ . وَاخْتَصَّ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ . وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَثِّمًا . وَلَا مِنْهُ مُتَلَبِّسًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا . وَأَشَجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا . حَتَّى نَظُنُّ الْقَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا . وَالسِّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا .
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَصِلُ بِسَالِكِهِ . وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ . مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ .
فِيمَا مُفَرِّطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَامٌ مُفَرِّطٌ . وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
عُذْرِهِ . فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ . وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ . وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ . وَلَقَدْ
صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ آيَاتِ يَمْدَحِهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ . إِنَّ الْكِرَامَ بَأْسَخَاهُمْ يَدَا خُتْمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ . قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجِدَ الصَّمَمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمَعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى . وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى . وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً . خَمْسُ
مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا . وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ . وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ . وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ .
وَخَمْسُ فِي الْغَايَةِ الْمُتَقَهَّرَةِ الَّتِي لَا يُعَابُ بِهَا . وَعَدَمُهَا خَيْرٌ مِنْ وَجُودِهَا .
وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ قَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

اللام . وجعلت عرضه شارة لِسِهَامِ الْأَقْوَامِ . وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ . فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا . وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ إِشَاعِرٍ مُفَاقٍ يَثْبُتُ
شِعْرُهُ عَلَى أَلْحَاكِ إِلَّا وَعَرَضْتُهِ عَلَى نَظْرِي . فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِلطِّيفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ . وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَافِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْجًا . فَأَخْتَرْتُ دَوَائِنَهُمْ لِأَشْتِمَالِهَا
عَلَى مُحَاسِنِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ . وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلْقَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْإِسَانَيْنِ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِغُيُوبِ بَسْرَائِرِ
الْقُلُوبِ . عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ . بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ . مُتَبَايِنَاتٍ
الْصُّورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ . لِقَاحِهَا التَّفَكِيرُ وَنَتَاجُهَا التَّدْبِيرُ . تُحْرَسُ
مُنْفَرِدَاتٍ . وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ . بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنِ مُخْدُودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ . خَلَا قَلَمٍ حَرْفٍ بَارِيهِ . قِطْعُهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَسِبَ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ . فَهَذَا لِكَ اسْتِمْدَادِ الْقَلَمِ بِشِقِّهِ وَنَثَرِهِ فِي الْقِرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَتِّمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللِّسَانُ . وَنَهْشَتُهُ اللَّهَوَاتُ وَقَطَعَتُهُ الْأَسْنَانُ وَلَقَطَتُهُ الشِّفَاهُ وَوَعَتُهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنْ أُنْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْبُحْتَرِيُّ :
 طِمَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِمَانٌ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكْسِرِ
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مَحَبَّةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْحَدِيثِ آيَةً وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِبَاءٌ رُتِعُ
 وَإِذَا ظِبَاءُ الْإِنْسِ تَكْتَبُ كُلُّ مَا يَمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَادِبُونَ الْحَبْرَ مِنْ مَلْهُومَةٍ بَيْضَاءَ تَحْمِلُهَا عَلَاقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْيَلَوْرِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَجٌّ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِكُهَا فِيهَا حَوْتُهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرَشْفِ رُضَائِهَا أَذَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَتَنَعَّعُ
 وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوَدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سُلِّ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
 قَالَ : إِذَا ائْتَدَلَّتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَامُهُ . وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ :
 وَضَاهَى صُعُودُهُ حَدُورُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَاوُهُ وَنُونُهُ .
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْقَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَلَفْ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَشْرُهُ . وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَّتْ
 أَصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنْ
 تَصْنَعِ الْمُحَبِّرِينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحِلْيَةِ (للقيرواني)

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَدُرُومَ حُسْنِ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَارْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّيْسِيرِ
أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقِفٍ صُلْبَ يَصُوغُ صِيَاغَةَ التَّخْبِيرِ
وَإِذَا عَمَدَتْ لِبَرِيهِ قَسْوَحُهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظِرْ إِلَى طَرَفَيْهِ فَأَجْعَلْ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَأَجْعَلْ لِحَلْفَيْهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى بَرِيَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتَقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمِرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطْرِ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطُّ فِيهِ جَمَلَةٌ التَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جَمَلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَخْرِيفٍ إِلَى تَذْوِيرِ
وَأَلْقِ دَوَاتِكَ بِالْذُّخَانِ مُدَبِّرًا بِالْحَلِّ أَوْ بِالْحَصْرِ الْمَعْصُورِ
وَأَصِفْ إِلَيْهِ مُفْرَةً قَدْ صَوَّلَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْمُخْبُورِ
فَاكْبِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كِي يَنَازِلَ عَنْ التَّشْعِيشِ وَالتَّغْيِيرِ
ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَائِبَكَ صَابِرًا مَا أَذْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صَبْرِ
إِبْدَاءٍ فِي اللَّوْحِ مُتَضَيًّا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْيِيرِ
لَا تُخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ نَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

نَالَا مَرِيضًا ثُمَّ يَرْجِعُ هِنًا وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكَتَ مَا أَمَلْتَهُ أَصْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَةً وَجُورٍ
 فَاشْكُرْ إِيَّاكَ وَأَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَٰهَهُ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورٍ
 وَأَرْغَبُ لِكَفِّكَ أَنْ تَخْطُ بَنَانَهَا خَيْرًا تَخْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ الْتِقَاءِ كِتَابِهِ الْمُنْشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدَرِّسٍ أَنَّهُ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطَى بِجَدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَنْمُو وَأَفْتَحِرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَأَةً عَلَى مَنِّ أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَهَدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكِرَةً وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعَ سَدَادِكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ اللَّيَالِي عَلَى أَحْدَانِهَا وَزَرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قِسْطًا مِنْ مَلَا حِظَةٍ فَمَا يُرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صَابٌ عَلَى النُّجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ مُخْبِرَاتٍ عَنْ نَجَابَتِهِ كَالنَّارِ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرَرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ حَلَّتِ الْعَالِيَاءُ بَيْنَهُمْ يَعُدُّ شُكْرَهُمْ فَخْرًا إِذَا شَكُرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَأَجْعَلْ

الْخَيْرَ دَابَّهُمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ
 جَنَانِكَ . وَأَكْثَرَ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَثْبَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ نَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الضَّرَائِرِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِحْقَافِ الْجَرَائِرِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْمُلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ مُجَاسَاةَ الْمُلُومِينَ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينَ . جَاهِدْ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذِّرِ الْكَذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشِّحْهُمْ إِذَا آتَيْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرْضِضْهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا . لِيُتَرَّنَّهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلِهِمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضِّضْهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَأَحْذَرِ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخَلْقَ الذِّمِّيَّةَ كُلَّ
 مَا نَجَمَتْ . وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضْعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعْفُهَا .
 إِنْ الْغُصُونُ إِذَا قَوْمَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتْهَا الْخَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ امْكَانِكَ . وَفَرِّقْهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَأَسْتَعْمِلْهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثِّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثِّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحَبَّةِ وَالْمِقَّةِ

(للمقري)

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا
أَقْتُلُ بِالْأَعْرَارِ . وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا
فَالِ السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحِدِّ وَاللَّعِبِ
يَبِضُ الصَّفَاحُ لَا سُودُ الصَّحَافِ فِي مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَفْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَلْمَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اَلْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخُدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخْوَفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْمَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحَدُّ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَأَرْهَفِ الْقَاضِبِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَحْنًا مُرْهَفًا
مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّصًا وَمُوصِلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّفًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَالَعَهَا قُلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
كَأَلْحِيَةِ الرِّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْطُفًا
يَذِي بِهِ قَلَمًا نَجَّحَ لَمَابَهُ فَيَعُودُ سِفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ نُبْيِكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يَذِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
أَخْرَقَ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَذْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
كَأَلْتَجَرِّ إِذْ يَجْرِي وَكَأَلَلَّيْلٍ إِذْ يَغْشَى وَكَأَلْصَارِمٍ إِذْ يَفْرِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهْيَفُ مَمْشُوقٌ يَتَحَرِّكُهُ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُثْمَانُ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِمَلِكٍ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقام في الدول

١٥٦ إَعْلَمَنَّ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
 في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
 فقط منفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
 في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
 فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
 في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها .
 فتكون للسيف مزية في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
 حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
 فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تمهد أمره ولم
 يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة
 الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المميز له في ذلك فتعظم الحاجة
 إلى تضريفه وتكون السيوف مهتلة في مضاجع غمورها . إلا إذا نابت
 نائبة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
 فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
 نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
 خلواته نجياً . لأنه حينئذ آله التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
 والنظر في أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
 حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
 على أنفسهم من بؤاديره . وفي معنى ذلك ما كتبت به أبو مسلم .

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ (مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَابِلُهُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مِذْبَاحًا
لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مِذْبَاحٌ أَرْهَفَتْ خَدَمَ

١٥٨ قَالَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِسِنَانِهِ
لَهُ الْجَلَوَاتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا مُبَاهَا
لَعَابُ الْأَفَاعِي أَلْقَاتِلاتِ لَهَا بِهِ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَاصِكِنَّ وَقَعَهَا
فَصَبِحَ إِنْ أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغْتَ
أَطَاعَتَهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
إِذَا اسْتَعْذَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ التَّكْلِ وَالْمَقَاصِلُ
لَمَّا أُحْتَفَّتْ لِمَلِكٍ تِلْكَ الْحَافِلُ
وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتَهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْحَيَامِ الْجَحَافِلُ
أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا أَفْتَحَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يَكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَتَبْتُ قَلَمُ الْكِتَابِ فَخْرًا وَرِفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَبِي الْفَرَجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمُ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
تَلَّوْا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعُدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكِتَابِ

١٦٠ الْكِتَابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَرْكَانُهُ . وَعُيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبِهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا . وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا . مَلَابِسُهُمْ فَخْرَةٌ . وَتَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ . وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
طَائِفُهُمْ . وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْيِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ . وَتَبْتَسِمُ
تُغُورُ الْمَعَاقِلُ . مَجَالِسُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبَنَدَاهُمْ أَنْدِيَةُ الْقَصَادِ
مَعْمُورَةٌ . يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ . وَيَنْزِعُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشُّيحِ وَالتَّوَشُّيعِ . هُمْ أَهْلُ الْبَرَاةِ وَاللَّسَنِ . وَشِيئَتُهُمْ لَفٌ
أَنْقَبِيعٌ وَنَشْرُ الْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمَوْجِبِ الْمَدْحِ . وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاعِبِينَ فِي الْمُنْحِ . دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ .
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَانِي وَالْمَلْهُوفِ . يُجِلُّونَ الْكَبِيرَ . وَيُجِلُّونَ الصَّغِيرَ .
وَلَا يُخِلُّونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّفَاتُ . وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبْتُ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسْتُ خَطْكَ بِالسَّحْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَةِ الْبَحْرِ
بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
الْأَزَاهِرِ . لَيْتَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ .
وَتَسْكُنُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدَتْ قُدُودَهَا .
وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سُعُودَهَا . أَسِنَّتُهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُقَوِّفَةٌ .
تَجْتَهِدُنِي خِدْمَةَ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
تَمِيسُ فِي وَشِي أَرْوَاحِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعُذُوبَةِ إِرَادِهَا . تَشَاتُ
عَلَى سَطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعْلَمُ اللَّحْنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
الْأَنَابِيِبِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيِبِ . تَذْهِي الشَّاهِدَ النَّاطِرَ وَتُجِلُّ
أَعْمَالَهُ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتِطَاءٍ غَيْرِ الْأَنَامِلِ . الشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
الْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنَّضَارَةِ نَوَاطِرَ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَرَّةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرْسِ فَرُفَعَتْ إِلَى
أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لِكُلِّ الدِّينِ الْحَاجِي) ١٦١
إِعْتَمَدَ ابْنُ وَهْبٍ بِقَلَمٍ صُلْبٍ فَصَرَ الْقَامُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَاذُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمِثْلِ اللَّالِي نَظْمُهَا وَنَثِيرُهَا
تُقَوِّدُ آيَاتَ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاةِ نُورُهَا
تَظَلُّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَفْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي الْأَطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الْغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَرَاتِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَتَحَشَّ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَنْخَنَّا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ . أَعْطَانَا
ثَبَتَ رَحًا مُلْكِ الْإِمَامِ بِثَابِتٍ وَأَفَاضَ بَيْنَنَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَا
يَقْرِي الْوُفُودَ طَلَافَةً وَمِمَّا يَنْبَغِي وَالنَّاسَ كَيْفَ يُهَيِّدُنَا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيًّا مُرْعَا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَشَفَّ وَأُزِجَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَغِيرَ أَبُو عَبَّادٍ وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرَنَانَا أَوْ صَفْعَانَا وَنَسْنَا . فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (ابن الطَّبَّاطُبَاي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا .
عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ نَابَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي وَأَمَّا أُلُو النُّهَى فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْآخَرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَهَذَا أَصَحَّتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ
كَسَانِي طَلَّ وَابِلِهِ وَآوَى
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتُ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا
قَالَ آخِرُ فِي غِنَى الْمَرْوَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهِيَ تَبْكِي
فَقَالَاتُ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصْنَتَهُ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
إِلَيْكُمْ فَذَاكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :
أَبْرَ فَمَا تَرَجُّو أَلْجِيَادُ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَضَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثُ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْحِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنَشِدْنِي مَرِئِيَّتَكَ فِي مَعْنَى بَنِي زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :
أَقْنَا بِالْبَهَامَةِ أَوْ لَسِينَا مُنَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَنْ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَفَرُ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتِيَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَارِدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنُ حَيَاتُكُمْ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُشِيكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يَذْكُرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتَ مُكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سِجَالًا
 فَجَعَلْتَ الْعَطِيَّةَ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَسَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلْتَ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلَّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْعَجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَّشِيدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَمُّ الْوَلَاةُ
 فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمِنْ كَفَيْهِ دِجْلَةٌ وَالْقُرَاتُ
 فَهَلْ لَوْ لَا يَقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
 فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبَتِي الْهُومُ الشَّاعِلَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشِطَّنِي الصَّلَاتُ
 فَتُصْلِحَ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيُصْلِحَ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَضَحِكَ وَأَسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
 فَدَخَلَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَكُنْتُ الْأَرْضُ بِهِ بِهَيْجَةٍ وَأَسْتَبْشِرُ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
 وَأَبْتَسِمُ الْمُنْبِرُ عَنْ فَرَحِهِ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
 كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
 فِي مَحْفَلٍ تَحْقُقُ رَايَاتِهِ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاحِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الآغاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَقَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غِلْمَانِهِ مَاءً • فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِثَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ مَعَ غِلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِتَابَتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَنْ بَنَى زَائِدَةً •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرْكَبُ فِي السِّهَامِ نُصُولَ تَبْرِ وَيَرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلِمَرْضَى عِلَاجٍ مِنْ جِرَاحٍ وَكَفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ الْحُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَمُحَارِبٍ مِنْ فَرَطٍ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيَغَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كِي لَا يُفَوِّتُهُ التَّقَارِبُ وَالْعَدَى
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنَ الذَّهَبِ لَا يَبْرِيْ صَيَغَتْ نُصُولَهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ انْقِطَاعِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحَّاك - مد المتروكل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقٌ فَمَاتَ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطِبُ الْمُتَوَكِّلَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَبِيهَكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخِّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَنَا أَيَّامُ تَخْتَرِمُ الْقَرِينَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةٌ بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَهَيَّرَ عَبْرَى خِلَافٍ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةُ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمِلُ أَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ .

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْلَامٌ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقُبُ الْيَاسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

الباهلي والرشيد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءُ
 يَمَانٍ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قُودِيهِ . وَأَرْخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ اسْمُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكَرُكَ مُتَّهِمًا . فَقَالَ لَنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمُونَ ابْنَيْهِ وَهَمَا
 حِفَافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدَدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْخَذَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَائِي عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَوِدْنِي تَتَأَلَّفَ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنَ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ اعْتِذَارَكَ بَدَلًا مِنْ امْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفْسُ الْخِثَاقِ . وَسَهْلَتَ مَيْدَانُ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَتْ عَوْدُهَا
هَما طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْئَلُكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خِلَعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمَنْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرِّي فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَشْأُ الْقَصْرِ فَأَخْتِمْ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنُورًا لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَتَمَعُّ تَمَعُ الْمَرْءِ وَالْبَصَرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَارَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا
تَسَابَقًا فَأَصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَاقِيلٍ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
تُرْكَبُ مِنْ شُكْرِي وَيَرْكُ صُورَةُ فَبِرُّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَتَذَرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْعَفْوَ مِنْ شَيْمِكَ فَأَمْهَدْ لِعُذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْخَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الخليل ومزيد بن يزيد

١٧٤ وَلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ بْنِ فَاتَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لَيْسَ بِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ الْتِزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيْمُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
 حَتَّى تَرَاهُ قَدْ عَلا مِنْبَرًا وَفَاضَ فِي سُؤَالِهِ بِالنُّوَالِ
 وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنِيَ شَرُّهُ وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا نَا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَمَرَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغا نِي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِجٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبَهِيمُ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكِهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَنْصَانِهَا . وَتَكَاتَتْ
 بِالْأَلَى النُّطْلُ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرْتُبٍ بِعَرَبٍ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبَلَ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَأَسْقَطَ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عِشْدُ بَغِيرِ وَسْطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَانِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِيسَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدْ رَمَى بِالنُّشَابِ فَصَنَعَتْ فِيهِ بِدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ خُلِقْتَ كَعَمَّةٍ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بُدِيهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمْنَى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَصْحَى لِنُشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَعَ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ أُمَامُ وَلَا
فَكَمْ أُرْتَجِيْتُكَ فِي أَتْيِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلَهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَالِيكَ دَلِيلًا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُكِي يَزْدَادُ عَفْوُكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طُولًا
فَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالْفَضْلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدَمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبِدَائِهِ لِلْأَزْدِيِّ)

١٧٨ وَشِي بَابْنِ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَافَاهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :
وَلَا غَرْوَ أَنْ تَعْفُو وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُبُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّاءِ بَدَعَانِمِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَتِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ إِلَّا زَهَارَ غَيْرِ الْكَمَانِمِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورٍ سَمِيعَتُهُ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمِ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ وَبِجَدِّهِ
 أَتَاكَ تَجَلُّ خُرُوفٍ فَأَمِنَ عَلَيْهِ بِجَدِّهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الثَّغْرُ عَنْ أَوْعَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِينَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
 مَرَقْتُ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونُ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ قُضِلَ مُنْعِمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ
 ١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هَذِيلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْعَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْخَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَارٍ إِذْ غَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوِ جُذَاذًا
غَيْرُ صَاحِبٍ أَحْمَرٍ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ أَعْتِنَا صَحِّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ أَقْبَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَهُ الْأَرْضِ مَغْيَارُ قَبِيحٍ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَدْرِ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِجْ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَوَّ لَهَا التَّبَاكِ وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحٍ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تُؤُوحُ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِزُّكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَابُكَ مُسْتَرِيحُ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ قَاتَكَ الثُّنُنُ الرِّيحُ
١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَعْرِيِّ فِي الْمَرْقُصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا عَرَّتْنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ زَكَّتْهُمْ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِتَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ فِي الْمَرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخَرْتُ عَنْكَ مَدَائِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَاغَ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدَى إِلَى التَّجَرِّ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِرَئِيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَذْحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَشَائِكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ

إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَبُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُغَرِّدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طَوْلَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا لَا فَرَقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا

يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

رَاعَ الْفِرَاقُ فُؤَادَا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُفُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا

أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنٍ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا

مَا زَالَ يَنْظِمُ فِي الشِّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ الشِّعْرَ مُجْتَهِدَا

حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الْفَضْلُ مُنْفَرِدَا

إِنْ قَسَّرَ الْجُهْدُ عَنْ إِذْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا

لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُحْدُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا

أَبَقَ لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدَا فِي ظِلِّهِ جُدَا

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقُرَيْشٌ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبُّهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَصْخَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ عُنْصُرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَذْوَعُ الْعِلْمُ. وَتَهْلَانُ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسِّيفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ. مَعَ الْأَنَاءِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمُقَدَّرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلْتَمَسِ الْإِثْمِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلْذَهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلْنَجْمٍ لِلْحَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجْوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَهْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعِيَّتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسْتَ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَا فَيَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيَا بَقِي فَلَا تَرْجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُو لَكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذْبَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتَ نَظَرَتِكَ . وَكَرَمَتَ مَقْدَرَتِكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَّكَتَ الْأَسِيرَ . وَالْخَيْرُ بِفَنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلَوَائِكَ . وَالْخِذْلَانُ مَعَ الْوِيَةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَطَ عَدُوُّكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَغَانِيَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَذَابُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفَرُكَ . أَلْذَهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ
 (لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لما لم أَر في كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَكَثَرَ تَعَمُّدًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجَعَهُ . وَطَبَّ مَهْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَاحِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْوزًا . نَعَمَ كِتَابٌ بَدِيعٌ .
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَآخِرُ خَرَجِ مَقْبُولِ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيَا بَيْنِ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ بَنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاطِبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زُجَّاءُ

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُضِلَّةٍ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلا دَلِيلِ ... (المطرزي)

١٩٢ قَالَ الْبُرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رَبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكَوْثَرُ الْفَيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
غَمَامٌ يَعُمُّ الْخَلْقَ ظِلًّا فَسَانِلًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِ عَجِيبُ
أَوْمِلُ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ أَيْسَ يَحِيبُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ غُصْنُ فِي الْأَرَاكِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَتُوبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوِيَ وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُضُوعِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَفَّةٍ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالسُّرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَقَيْتُ فِيهِ بِالْأُذُورِ
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الضَّمِيرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْخُطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَا أَمَاقِ بِالْذَّمِّ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَّ رُكِّي إِيَّيْ عَيْنُ الصَّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لَكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ أَا عَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَّ مِ الْعُودِ ذَا وَرَقِ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَضْبَحْتَ الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ
قَدْ حَالَفَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِلْفَتْحِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نِيَّةِ خَالِصَةٍ وَوَدِّعَ نَحْضٍ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ . فَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مَعْنَى بَنِ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنُّجُبِ
فَتَى زَارَ وَكَمَلَهَا وَأَخِي أَا جُودِ حَوَى عَازِيهِ مِنْ كُتُبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ الْوَضِيعُ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَائِرُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلَا حَطَبِ

لَيْتُ بِمُخْتَفَانِ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهَمَا شِبْهَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَمَبِ
 قَدْ وَمَقَا شَكَّاهُ وَسِيرَتُهُ وَأَحْكَامُ مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ أَلْفَتِي تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاثِي الْخُصُومِ لِارْتِكَابِ
 تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنُّهَى خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَاحِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا قُلَّ بُذَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبُوتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُّ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَخْنَاكَ كَمَا مَدَخْتَنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَتْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُخْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَمَاءُ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لِصَاحِبٍ مَعْنٍ وَأَخِي ثَرَاءُ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْحِكَ مَعْنٍ حَتَّى اسْتَلَقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعْمَرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَاطَعَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ
 (الآغَانِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَمْدَحُ آلَ فُرَيْعُونَ :

بُنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودٍ وَعُلا وَسَاوَرُ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلْصَالِ
 مَنْ تَأَقَّى مِنْهُمْ تَقُلُّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَانَا وَأَسْمَحُهُمُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَهُمْ دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
 أَفَادَنِي الْمَلِكُ الْمَيُّونُ دَلَاثُهُ عِزًّا وَأَبْسَنِي سِرْبَالِ إِقْبَالِ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمَا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ فَإِنَّ ذَاكَ لَيُعْجِزِي لَا لِإِنْفَعَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ :

أَبَا نَضْرٍ نَصِرْتَ عَلَى الْأَعَادِي وَصِرْتَ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
 بِرَأْيٍ يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَامَا وَعَزَمَ يُخْجِلُ السَّيْفَ الْحَسَامَا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عَقَلَتِ السُّنَنُ عَنْ قَوْلٍ لَا فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَاجِدٌ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زِينَتْ بِنُجُومِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحِمَّةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ فَسَادِ أَبَا عَمْرٍو أَحِمَّةَ يَسْمَعُ
 بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّمَاءِ كَيْنِ مَوْضِعِ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكَرِيهِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَلْمَعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْعَيْثُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تُقْلَعُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْكَاتِهِ كُلُّ خَافٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبِعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَارَ وَالسَّرِيرَ تَوَاضَعًا وَلَهُ مَنَارٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجَبِّي الْخَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجَبِّي إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَجُورُ
 ٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى بِلَلِ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلُ الْبَسِيطَةِ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا لَا تَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضْنَا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي التَّوَائِبِ رُكْنَا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأْتَى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَمَحًا وَإِذَا مَا هَزَزْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَاءُ السَّمَاءِ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَعْنَا
 نَزَعْتَ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَضْحَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لَأَمَالٍ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَدَارُهَا
 حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلَ مِثْلِهِ وَصَفْحَةٌ صَفَحَ لِلذُّنُوبِ أَعْتَفَارُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجَنِّي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هَيَاجِ الْحَرْبِ تَوْقَدُ نَارُهَا
 أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ نَوَاضِرٌ وَطَوْرًا سُيُوفٌ دَامِيَاتٌ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ غَسَّانَ حِينَ أُرْتَحِلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكْتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ الظُّلَمِ
هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوْءَاءِ وَالنِّعَمِ
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْمَعَقَةِ وَالْأَفَاتِ وَالْأَثَمِ

٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَاتِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتِهِ وَقَامُوا
فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصَّوُولُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَامَتْ شَنَا هِبَاتُهُ فَتَرُ الْعَطَامِنَهُ وَتَنْظُمُ الشَّنَائِمَنَا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُنْشِي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لَنَا مَعْنَى

٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّمَاءَ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَتَقَيَّانِ
وَمَنْ وَفَّيَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتَ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقِلْ لَهْنٌ ثَوَانِي
لِتَقِيلَ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءَ نَائِلٍ وَتَثَابِيِبِ هِنْدِي وَحَبْسِ عِنَانِ

٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيَّرَوَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْفِلُ بِمِحَادِثَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَجِدُ مِلَّةَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ
٢٠٨ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
حَقِّ الْوَالِدِ بِيَاذَةِ مَدْحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمًا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْفَخْرِ
وَهَمًا وَقَدْ بَرَزَا كَكُنَّهَمَا صَفْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
بَرَقَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَائِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :
قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَقُبُّ فَوَاضِلُهُ
أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحُمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ
٢١٠ قَالَ أَعْشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانِ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَسْبَحَ تَحْزُرُو نَاوَكَبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ
٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَّ صَارِمَهُ
لَيْتُ يَلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
يَا حَامِيَا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُذَرِّكُنَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلٍ رَجُلَا
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
مَلِكُ تَشْدَى أَنَايِلُهُ
مُسْتَهْلًا عَنْ مَوَاهِبِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
وَزُخُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
زُرَّتْهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا
عَصَرَ الْآفَاقِ فِي عُصْرِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
كَأَنْبِسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَتَحْتَضِرِهِ
وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
وَمُدِيلِ الْيُسْرِ مِنْ عُصْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرِهِ
كَصِيَاحِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
فِي مَذَاكِيهِ وَمُسْتَجِرِهِ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَقْرِهِ
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلِفِرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَّتْ أَلْبَقَاءُ لَهُ فَأَبَى الْمُخْتُومُ مِنْ قَدَرِهِ
 فَلَمَّا أَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُلْفٍ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
 ٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَاتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا : هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ : وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ : (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ) :
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : مَا لَكَ يَا أَخِي
 تُبْكِي . قَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْإِغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَذْحِ :

أَهْلُ بَانَ يُسَعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى وَيَذَارُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْأَبْرُمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُنَبِّيُ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
 وَتَحَنُّ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْ فِي شُغْلٍ وَالْبَجْرُ فِي خَجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَنْسَبَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَمْ تَنْضَعْتِ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
تَوْكَانَ أَفْضَلَ مَا فِي الْخَلْقِ بِطَشِهِمْ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :
يَضْعُفُ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
(ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرُقُ شَمْسًا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :
وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفًّا وَمَعْنَى
وَتَحَابِي لَيْثًا وَتَنْهَلُ بُزْنًا

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
فَلَيْسَ تَرْحَلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَيْبَغَاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :
قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَنْخُطِرْ بِهَا السَّارِي
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ غَمَامُ
فَهَذَا يُنِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مَمْنَعُ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي تَجَلٍّ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :
وَعَزْمُكَ إِنْ فُلَّ الْخَسَامُ حُسَامُ
وَذَاكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لَهُامُ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ

فَتَى جَمَعَ الْعُلَيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
كَجَمْعِ التُّفَاحِ شُكْلًا وَبَهْجَةً
٢٢١ قَالَ عَمَّارُ بْنُ الْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لَهَيْعَةَ :
وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
وَرَائِحَةَ مَحْبُوبَةٍ وَمَذَاقَا

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
٢٢٢ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ :
فَتَدَسَّرَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَّالُهَا
فَهُمُ الْأَنْجُمُ فِيهَا وَأَنْتَ هِيَ لَهَا

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزِّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقُّ بِتَعْمِيرِ وَتَخْلِيدِ
تَبْلَى الْكَرَامُ وَآثَارُ الْكَرَامِ وَمَا تَزْدَادُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ الْحَزَاعِي :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةٌ الْعُشَاقِ
وَأَوَّامٌ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الشَّاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثَّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ تُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوَّةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْعَجَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخِلَتْ وُجُوهُهُمْ أَقْمَارًا
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارًا
وَإِذَا زَنَادُ الْحَرْبِ أَخَذَ نَارَهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارًا
٢٢٥ قَالَ الْأَعْرَنْدَسُ يمدح قَوْمًا :

هَيْنُونَ لَيْتُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَعْدُ الْمَجْدُ مُتَلَدًا وَلَا يُعَدُّ ثَنَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقِلُّ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِ
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ وَاللَّيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ

- ٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :
 أَنَا أَشَعْرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
 شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّبَعِ لَا بِتَكْلُفٍ الْإِلْقَاءُ
 كَالصَّوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوِبِ الْأَصْدَاءِ
- ٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْغَسَّانِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :
 جَلَّتْ لَدَيَّ الرِّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هِمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاهُ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
 غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شِمَّتِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
 لَوْ كَانَتْ النَّارُ إِلَّا قُوتٌ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبُهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
 وَلَا تَغُرَّنَكَ أَطْمَارِي وَفَيْتُهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
 وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ عَنْ صِغْرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ مُحْمُولٌ عَلَى الْبَصْرِ
- ٢٢٩ قَالَ عَنَّا يَتَهَدَّدُ هَوَازِنَ وَجْشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :
 سَكَتُ فَعَرَّأْتُ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
 وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِّيتُ
 وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
 بِسَيْفٍ حَدَّهُ مَوْجُ الْمَنَآيَا وَرَمَحِ صَدْرُهُ أَحْتَفُ الْمَمِيتُ
 خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلَبْتُ

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
 وَفِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلاً
 فَمَا لِلرُّخِ فِي جِسْمِي نَصِيبُ
 وَلِي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثَّرَيَا
 ٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرِي لَا يُعَادِي
 وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
 أَعْلَلُ بِالْمَنَى قَلْبًا عَلَيْهِ لَا
 تُعَيِّرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
 وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالُ حَوْلِي
 وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا
 وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
 وَسَيَفِي مَرْهَفُ الْحَدَّيْنِ مَاضٍ
 وَرَمَحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعْنًا
 وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِينَكَانُ رَمَحِي
 ٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبُ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِزْرٍ
 إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنُ
 أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
 فَاَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بَرْدًا
 وَمَنَاقِبُ أَوْرَشُنْ مَجْدًا
 بِنَةِ وَعَدَاءِ عُلْدَا

بِأَفْحَافِ الرُّؤُوسِ وَمَا رَوَيْتَ
 وَمِنْ لَبَنِ الْمَعَامِعِ قَدْ سُقِيتُ
 وَلَا لِلسَّيْفِ فِي أَعْضَائِي قُوَّةُ
 تَحَرُّ لِعَظْمِ هَيْئَتِهِ الْبُيُوتُ

وَأَحْتَمِلُ الْقَطِيعَةَ وَالْبِعَادَا
 وَإِنْ خَانَتْ قُلُوبُهُمُ الْوَدَادَا
 وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَإِنْ تَمَادَى
 وَبِضْ خَصَائِلِي تَحْوِ السَّوَادَا
 تَهَزُّ أَكْفُهُمَا السَّمَرُ الصِّعَادَا
 وَنَارُ الْحَرْبِ تَتَّقِدُ اتِّقَادَا
 وَكَرْبُ الرِّكْضِ قَدْ خَضَبَ الْجَوَادَا
 تَقْدُ شِفَارُهُ الصَّخْرَ الْجَمَادَا
 فَعَادَ بَعَيْنِهِ نَظَرَ الرِّشَادَا
 لَمَّا رَفَعَتْ بَنُو عَبْسٍ عِمَادَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَمَرُّوا حَاقًا وَقَدًا
كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بَمَا اسْتَعَدَّا
نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَبَشِ بُدًا
هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَأَنَ أَشَدَّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ يَدَيَّ لِحْدًا
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَهُ تٌ وَلَا يَرُدُّ بَكَايَ زَنْدًا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
أُغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَّا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
أَطْوِي قِيَّامِي الْفَلَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرَّمْضَاءُ تَسْتَعِرُ
وَلَا أَرَى مُؤْنَسًا غَيْرَ الْحَسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةَ الرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا
فَحَازِرِي يَا سِبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا أَنْتَضَى سَيْفُهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَرَأْفَتِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تُنْسِي وَتُبْتَكِرُ
مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسَتْ طَالِبُهُ بِخَالِدٍ لَا وَلَا الْجِيدَاءُ تَفْتَحِرُ
وَلَا دِيَارُهُمْ بِالْأَهْلِ أَيْسَرُ يَاوِي الْغُرَابُ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّمِرُ
٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغِنَى
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْذِرُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْيِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تَغَيَّرُ شَيْئِي
٢٣٤ وَلِعَنَتُهُ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعُ مَا أَسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكُ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْبَرَاقِعَ وَالْأَلْمَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذَّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى النَّزَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَاءِ
وَسَيِّفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خُبِرَتْ عَنْهُ
وَلَوْ أُرْسِلْتُ رُحِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرِّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنَضْمَعُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا
وَمَتَى نَخَفُ وَمَا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَوَّصَدَّا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَنُعِينُ فَأَعْلَنَّا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَابٍ
فَنَقْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثَا حَمِيهَا
وَنَحُلُّ فِي دَارِ الْخِفَافِ بِيُوتِنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنُتْرَةُ الْعَبْسِيُّ :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصُّنْدِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدَّهْ
وَبِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي الدَّيْ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تُلْعِي بِبَالِي
رِوَأَقْوَى مِنْ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ
رَتَحَلَّتْ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
لِ هِدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى الْبَرْقِ وَرَأَاهُ مِنْ أَقْتِدَاحِ النَّعَالِ
أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى سَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأُقَدِّيه بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
وَإِذَا قَامَ سُوقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمُرْهَقَاتِ الصِّقَالِ
كُنْتُ دَلَالًا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
يَا سِبَاعَ الْهَلَا إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ أَتْبَعِينِي مِنْ الْقِفَارِ الْخَوَالِي
إِتْبَعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرَّمَالِ
ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ بِنِي وَاذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
وَحُذِي مِنْ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ قَوَاتِي لِيَذْكُرِيكَ الصِّغَارُ وَالْأَشْبَالِ
٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ :

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرِبَ أَوْ تُرْذَهَا تَجِدُنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
وَأَغْلَظَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَاللَّيْنَا إِبَاجِي الْخَيْرِ عُودًا
وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهْدًا
إِذَا تُدْعَى لِشَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدًا
مَتَى مَا تُدْعَى فِي جُشَمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أُنْعَمُ وَلَا وَحِيدًا
وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍ وَتِيمُ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدًا
زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ مُلُوكًا وَزَعَمُ أَتْنَا نَلْنَا عِيدًا
وَمَا نَبْغِي مِنَ الْأَخْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمَسُودَ وَالْمَسُودَا
٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِأَمْعَايَ فَجَارَنَا
 وَرِثَاعِنِ الْأَبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَامِهَا
 تَوَمَّرْنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاحُنَا
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ كَعَبَّةٍ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْشُشْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِشْ
 وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا
 ٢٣٩ قَالَ الْفَرِيطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَنُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ
 لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
 يَمْجُرُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
 كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَمَوَانِ
 وَحُسَامِي مَعَ قَتَاتِي
 إِنِّي أَطْعَمُ خَضِيمِي
 أَسْفِيهِ كَكَاسِ الْمُنَايَا
 غَيْرُ مَجْهُولِ الْمَكَانِ
 لِعِمَالِي شَاهِدَانِ
 وَهُوَ يَقْظَانُ الْجَنَانِ
 وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانِ

خَلَقَ الرُّيْحُ إِكْفِي وَالْحُسَامُ الْهُندُوانِي
 وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدِّهَانِ
 وَالْدِّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ قَانِي
 فَاسْقِيَانِي وَأَسْقِيَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْشِرَ بَانِي
 أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حَسَنُ صَوْتِ الْهُندُوانِي
 وَصَرِيحُ الرُّيْحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطِّعْمَانِ
 وَصِيَاخُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِاللَّيْلِ فَوَارِسَهَا حُمُرُ الْعُيُونِ دَوَامِ
 وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْعِرَاضٍ قَتَامِ
 وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْ عَصَابَةٌ ذَوُو تَجَدَّاتٍ فِي اللَّيْلِ كِرَامِ
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي فَوَارِسٌ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِيَامِ
 فَوَارِسٌ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعُزْلٍ نَدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكَ وَسَنَامِ
 يَقُودُهُمْ حَارِمِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَارِمِي
 جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانَ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
 مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ تَبَّتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
 وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
 إِذَا كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ أَقُولُ لِهَمْدَانَ أَذْخُلُوا بِسَلَامِ

٢٤٢ وَمِنْ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعْيُ فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْزِلٍ
 لَتَرَى أُنَايِبَ الْقَضَاءِ عَلَى يَدِي تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَذْرُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ تَيَمُّورُكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ بِرُقُوقِ
 السِّيفِ وَالرَّمْحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَأْيِيكََا
 إِذَا التَّقِينَا تَجِدْ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثَابَتْ فَأَمَرَ اللَّهُ آتِيكََا
 بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَمْلِيكََا
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوْدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُبِيكََا
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتَّاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ مُخَلَّدًا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَهْفُهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
 تَوَقُّدُ عَزَمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةُ حَامِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِبْرَدَا
 وَفَرَطُ احْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ مِنْ حِلَى سُودَدِي سُدَى
 وَيَأْبَى إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
 وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِئْنَةً وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرَدَا
 وَلَوْ كَانَ إِذْرَاكَ الْهُدَى بِتَذُلِّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
 وَغِدْمًا بِغَيْرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَأَطَى الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتُ زُهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أُنْمُلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لِأَبِي الطَّيْحَانِ الْقَيْنِيِّ :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نُجُومٌ سَاءَ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا سَوْدٌ
٢٤٦ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ ثَقَلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ أَلْهَمْ خِطَابَهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
عَلَى الرُّغْمِ وَبَنِي أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدًا
وَلِي هِمَّةٌ لَا تَرْتَضِي الْأَقْوَمَ مَعْدًا
لَحَرْتُ جَمِيعًا تَحْشَوْ وَجْهِي سُجْدًا
ذَكَاءٌ وَعِلْمًا وَأَعْتِلَاءٌ وَسُودَدًا
مِنْ الْغَيْظِ وَنَهْ سَاكِنُ الْبَحْرِ مُزِيدًا
فَمَا ضَرَّتْنِي أَنْ لَا أَهْزَأَ الْمُهَنْدَا
فَإِنْ صَالَيْلَ الْمُشْرِفِي لَهُ صَدَى
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى الْأَيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ
تَسِيرُ الْمَنَآيَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ
وَتَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَتَتَلِي
وَتَتَى نَحْمَكُمُ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلُ
فِيهِمْ وَتَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُنْضِلُ
آبَاؤُنَا النُّرُّ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى صَاحِبِكَ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَىٰ عِلْمًا فَإِنِّي عَلِمُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ.

٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَىٰ فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمِ.

وَسَلَّ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أُمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُرَدِّمِ.

سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَضْبَحْتُ بِأَقْوَابِ الرُّكْبَانِ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي.

وَرُبَّمَا غَنَىٰ بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يَرْدُدُهُ فِي شَجْوِهِ وَالْأَتْرَمِ.

وَضِيعَتِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَفْجَمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ.

وَطَالَبَنِي دَهْرِي لِأَنِّي زِنْتُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَذْهَمِ.

٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ يَنْتَوَا سُنَنًا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ.

يَرْضَىٰ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَىٰ الْإِلَهِ وَالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا.

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا.

سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّعَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ.

لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَىٰ سَبْقِهِمْ تَبَعُ.

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتِ أَعْيُنُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا.

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْأَنْدَىٰ مُنِعُوا.

لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصَابُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَامُ.

وَلَا يَمْسُهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ وَلَا يَمْسُهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ.

كَانَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ تَمَعُ.

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِعَبْدِ بْنِ الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَانَا فَسَلْ تُبَا أَيُّهَا السَّائِلُ
سَائِلُ بِنَا حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا أَتَيْتِ الْحَائِلُ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ آئِدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَاعِلُ
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعَالُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُقَيِّ سَيِّبُهُ الْعَاذِلُ
الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَبُّ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَاتِ بِهِمْ شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارِ
وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
الْحَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْأَبْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شِمْسٍ الْخِلَافَةَ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مَالِي آفَةٌ سِوَى نَقْصٍ تَمَيِّزُ الْمُعَانِدِ فِي نَقْدِي
وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي وَيَتَمَجَّجُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْهَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدَّعِي الذِّكَاةَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :
إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتَ وَفُتُّ كُلُّ النَّاسِ فِيهَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَأَكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ فِي بَحْلِ :
بِرَاءَةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيزُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبَسًا
فَصَادَفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بِعَصَا مُوسَى لَمَا أُنْجِسًا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَدَانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدِي سَقَانِي كُؤُوسًا نَحْرُهَا رِيحُ الْمَدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمْآنَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغْدَى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحَسَامُ
لَنْ وَضِعَ الْجَوَانُ وَلَا حَ شَخْصٍ لَا خَطِيفَنَ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خِوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الزَّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخَرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْنَحِ اللَّيْلِ رِجْلِي عَلَى تَخْنَصٍ وَلَمْ يَكُ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلابَ طَوِيلَةُ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيدٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَالِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أَوْحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيهِ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهِ

٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِي فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتُ أَخِي بِالْذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ دَتَّ مَعَ الْأَهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ مَا لَيْلَا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثْرِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَقَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مُهَذَّبُ الدِّينِ بْنُ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُرَجَ حَازَ الطِّبَّ أَجْمَعَهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْإِعْلَالَا
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ قُلْتُ عِنْدَهُ حَيْلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَذْرَى لِلرَّدَى حَيْلَا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَالَتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَا لَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِّهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِالْأَغْلَقِ تَبْتَاعُ بِالْدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَبَّرْتَ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تُكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا
مَتَى تُسْأَلُوا فَضْلًا تَضُنُّوا وَتَجْلُوا وَنِيرَانُكُمْ بِالْشَّرِّ فِيهَا تَحْرَقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا فُرَيْشٌ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكْنَا وَذُو الْمَجْدِ يَسْبِقُ
تَجِيئُونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَجُوهُكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ لِلْأَضَامِمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لَأُومَ طَلَبًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَشْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ

٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِي يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ فَاسٍ:

مَشَى الْأُومُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِأَلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى فَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْمُنَجِّمُ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلُّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَابٍ يُفْزَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عُمُرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ دَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :
 أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
 وَظَلْتُ أَبْكِي لَكُمْ عُذْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِظُونَ وَقَدْ نَمْتُمْ عَنِ الْكُرَمِ
 فَلَا حَدِيقَتُكُمْ يُجْنَى بِهَا ثَمَرُ وَلَا سَمَاؤُكُمْ تُنْهَلُ بِالْدِّيمِ
 أَوْغَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْمَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرِّغَائِبِ حَتَّى أَبْتُ بِالنَّدَمِ
 ٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِينِي يُهْجُو أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِيَّ السَّاجِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيِّبَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ النُّجُمِ
 كَمْ تَدَّعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
 ٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَعَارِبَةِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
 أَنَّ الْبَرَّاءَ أَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَازَعَمُوا

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُغَزِي فِي خَاتَمِ الصَّفَدِيِّ :
 وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجَّتِهِ كَأَنَّهُ مَلَأَتْهُ نَجْمُ الدَّجَى فِيهِ
 حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا مَا قُلْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ
 ٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَطَائِرٍ فِي وَكْرِهِ نَائِمٍ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مَنَاقِرِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَقْعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمُنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُلْغِزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنِّهَا لَتَقْبَلُ نَفْخَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمِرَادِهَا
أَرَادَ فِي أَلَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لَغَزَا فِي شَبَابِهِ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ شَحُوبُهَا تَكْتَفِيهَا عَشْرُ وَعَنِينَ مُخْبِرُ
يَلْذُ إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَخْرُجُ جَاشٍ مَخْرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبٍ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ الْأَلْغَازِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لَغَزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَنَظَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعٌ وَجْهِهِ مِنْهُ مَقَاهُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٍ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارُ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارُ

بَطْنٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارٌ
وَأَنْفَذَا الْأَنْزِينَ إِلَيْهِ . فَكُتِبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ . وَكُتِبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَا : هَبِ الْفَرَّ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْخَيَالِ وَالَّتِي الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي أَلِيَّتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفْسَرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفْسَرُ لَهُ بِالضَّحِكِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفْسَرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنَعَةِ الْكِيمَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَّارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلَا فِرَاطَ بَرْدِهِ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمُهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي افْتِرَاقِهِ وَالْتِمَامِهِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكَايِهِ وَتَوَقَّدَ عَقْلُهُ
(لَا بَنَ حُجَّةَ الْحَمَوِي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفَدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَاةٌ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمَعَ يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعَلٌ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ اعْتِنَاءُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِّي فِي شَمْعَةٍ :

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ مَرْكُوزَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ الْقَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرَى :

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبَطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةٌ رَتْعِهِ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يَرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَلُّ الْحُجُبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِّيَّةِ قَادِرٍ وَيَعْجِزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسِرِّي بِلَا رِجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِآخِرِ فِي الْفِكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِامْتِنَانِي فِي الْحَمَى :

وَزَائِرَةٌ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاةِ
كُتِبَ إِلَى وَالِدِهِ مُلَغِّزًا فِي بَابٍ يَقُولُهُ :

مَا وَقِفْتُ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طُورًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ بِمُرْجٍ

فَكُتِبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَمُجِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي نُحْيِي الدِّينَ بْنَ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُنْغِزًا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكُشْبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَضْيِيفُهُ لِمَنْ يَتَرَمَقُ
 فَأَجِبْنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطْلَعًا لَسْتُ فِي حَالَةِ الْأَضَائِلِ تَسْبِقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقِ الْخُرُوسَةِ مُنْغِزًا فِي فَاخِتَةٍ:

وَمَا طَارَ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهُهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْنَانِهَا وَيَنْزِدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهْتَ عَنْهُ فَاخِتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْغَزُّ وَرَدَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَبِيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مُجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودَدُ غَدَا دُونَ مَرْقَاهُ يَمَّاكَ وَفَرَقَدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمْنَى الْغَمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالُكَ عَنْ أَنْثَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عَوْدِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَأْشُدُ
 وَتَجْذُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَايِي لَا أَطِيقُ أَقْدُ
 وَمُذْبَانِ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأُولَاهَا مَعَ مَا يَأْيِهِ وَطَرْفُهَا لَنَا قَاهَ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَاذِخُ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لِوَأَوَّلِكَ يُعْقَدُ
 فَخَذُهُ مُيْنًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلَغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يُلْقَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
وَتَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تَيْجَانَا
وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْمَوَدِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحَرِّكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَا فِي مُقْصَصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَتْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلْثِيهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبِتَضْعِيفِهِ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضْعِيفِهِ زِدْ بِقُصِّ فَالْمَعْمَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَذَرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذَرِي الْبَيَانَا
وَبِتَحْرِيفِهِ تُؤَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْقَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثُ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشٍ ذَبٌّ عَنَّا تَضْعِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَأَفْتَرِسُهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لَغَزٌّ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا

٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَقْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَتُّ شَدُو مَرْقِصٌ مُطَرِبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفْقُ
وَلِتَجْمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ فُرْتُ مِنْ بَعْضِهِ بِسَجْعِ الْمَطُوقِ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَغْرَابِي يُصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُيُوثُ غَابَاتٍ . وَغُيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُيُودِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعَرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَرَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوَرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلَفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرٌ . وَرَمْلٌ أَغْفَرٌ . يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مَيْمُونُ الْغَدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَاطِعُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عِجَاجُهَا . وَتَعَظَّمَتْ
أُمُوجُهَا . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِفَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَرَ ذَلِكَ
عَقِبُهُ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَظَمَائِهِ فِي حَدِّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مَحْشُورَةً يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدْلَةً . يَخْرُثُونَ بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَافِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَوَاءٌ مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ. حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
الْنَدَى. وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ حَلَابُهُ. وَيَغْنِي ذُرَابُهُ.
فَيَنِمَّا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ. إِذَا هِيَ عَنَبَةٌ سَوْدَاءُ. فَإِذَا هِيَ
رَبْرَجَةٌ خَضِرَاءُ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
قَالَ: لِلَّهِ دَرُكُ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي وَصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهِدُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ. فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً.
فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَمِّ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ دَهَاكَ.
فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضٍ. إِشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
دَابَّةً اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الْعِصَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَتَقَبَّئُ
نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِنِّي: لَا أَهْلًا بِكَ
وَلَا مَرْحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: أَبْنِ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَشَبَةِ مَصْلُوبًا. فَقَالَ: كَأَنَّهَا عُيُوبٌ وَذُئُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ. وَأَخْسُ مَصْحُوبٍ. إِنْ رَكِبْتُهَا رَفَسَتْ. وَإِنْ تَخَسَّتْهَا
تَهَمَّزَتْ. وَإِنْ هَمَّزْتُهَا قَمَصَتْ. وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ. وَإِنْ سَهَّيْتُهَا
رَقَدَتْ. وَإِنْ نَزَّاتَ عَنْهَا شَرَدَتْ. تَقْطَعُ فِي يَدَيْهَا. وَتَضُكُ
بِرَجْلَيْهَا. حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تُحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ.
وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلَبِ. إِنْ قُرِبَتْ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرَتْهَا.

وَإِنْ دَنَتْ مِنَ الصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُّ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِثَانِهَا . وَتَمْشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَجَرَتْ وَتَحَرَّتْ . مَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَتَلَّتْهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرِضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْفِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كَدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَأَنَّهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مَجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتِدَ وَتَقْرِضُ الْجَسَدَ . وَتَقِثُّ الْكَبِدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
تَشْمِرُ وَتَعْدُرُ وَتَهْتَرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقْلَعَةُ الْأُضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا
مُحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَهْتَرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْبِلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ . شَهَاقَةٌ غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتُحْشَرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَارَكِمْ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَاصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفُكُّ
مَضَارِبِهِ . وَلَا تَحْجِجْنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالْإِسْلَامُ (الْكَتَرُ الْمَدْفُونُ لِلْسَيُوطِيِّ)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَفَّارِ الطَّغَاةِ الْمَصَالِيتِ: إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَعِيدِ الْحِدَتَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَاوَكْذَا أَلْفَ عَالِمٍ خُدَّامِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبَعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الزُّهَّادِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَحَبَّتِي
مَضَوْا . وَبِاتِّبَاعِ أَوْامِرِي قَضَوْا . فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الدِّمِيمُ . أَسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْغَفَارِيَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُيِّتُ عَلَى إِلْقَاءِ الْبَوَارِ وَالْدَّمَارِ . رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَعَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِنِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاحِرِ مَكْرِي . وَالزُّنْدِيقُ يَفْتَنُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْزُقْ قِصَّةً مِنَ الزَّمَانِ الْغَايِرِ إِلَّا وَلِي شِرْكَهَ فِيهَا .
وَلَا حَدَّثَتْ مِخْنَةً لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيَّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي إِبْلِيسُ .
نَهَضَ لَجَدِّي التَّعِيسِ . وَإِلَى نَحْوِ آدَمَ هَوَى . فَعَصَى رَبَّهُ فَعَوَى . وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَّأتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْيِينِ الْوَسْوَاسِ .
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوْثَانٍ . وَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرَ فِي ذِهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ النَّحُومِ . وَأَسَارِقُ النُّجُومِ . وَأَسَاقِ الرُّجُومِ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْأَمْتَنِ . مَا بَطْنُ . وَيَغْلِبُ مِنَ
الْتَّارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينَ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَاللُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالنَّفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنْعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَسْهُمُ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِي الْمُسْمُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ .
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنُوطٍ
بِفَرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُودَائِهَا إِلَى بَائِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دَرَايَاتٍ . وَفَقِيهِ فِي النَّادِي . فَاقَ
الْحَاضِرَ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْلَسَةِ
حَفَدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَائِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ الْوُظَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَّاسِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
مُنَايَ مُنَاهِمُ . وَرِضَايَ رِضَاهُمُ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجْوَاهُمُ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخَلْقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَنْوُثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بِشِيرِ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ . يَسْتَهْلِكُ بِطَلَاقِهِ . وَيُحْيِيكَ بِبُشْرِ . وَيَسْتَذِيرُكَ بِكَرَمٍ .
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِشَرٍ . تَبْهِيكَ طَلَاقُهُ . وَيَرْضِيكَ بُشْرُهُ . ضَحَّاكَ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ . عَبْدٌ لِضَيْفَانِهِ . غَيْرٌ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ . بَاطِنٌ مِنَ الْعَقْلِ .
 خَمِصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِعُ الْحِلْمِ . ثَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخُلُقِ .
 مُحَصِّنُ الضَّرِيَّةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَالٍ . كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأْمَةٍ . إِنْ سُئِلَ بِذَلٍّ . وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَنَاعُورَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَانَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ يُسْتَانِ تَدُورُ وَتَجَلِي وَتَنْقُضُ عَنْ أَرْيَاشِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ

٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُنِيعَتْ أَفْنَانَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَائِمُ تَجَوَّهَا فَيُجِيبُهَا وَيَرْجِعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِمَعْدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا
 ضَاقَتْ تَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَقْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ خَجَلَتْ فِيهَا دُحَى وَعُيُونُ النَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحْرًا وَمَالَتِ الْقُضْبُ لِلتَّعْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَأَتَمَّ طَرُقُ دَرَشِ ثَوْبِ الدَّوْحِ جَيْنَ رَأَى تَجَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَحَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَالطَّلُّ فِي سِلَاقِ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ الْأَسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَا سَتَ فِي سِوَاهُ تُوَلَّفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنْ الْأَضْيَابِ تَتَّصِفُ
وَمِنْ الْأَسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْغَدِيرِ تَتَطَفُّ

زهرة صفي الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّيْعُ فَرَحَبًا يوروده وَبُنُورٌ بِهَجْتِهِ وَتَوْرٌ وُرُوده
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنْيَقِ مَلْبَسِهِ وَوُثْيِ بُرُوده
فَصَلُّ إِذَا أَفْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتُ تَصِيدِهِ
يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِالْخُفِّ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُوده
يَا حَبِذَا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِمُهُ وَحَبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كُنَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي مَوَاجِبِ عُوده
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغَلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونٍ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَابَ بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُوده
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُوده
وَأَنْظُرْ لِرَجْسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرْفُ تَنَبَّهٍ بَعْدَ طُولِ هُجُوده
وَأَنْجَبَ لِأَذْرِيُونِهِ وَبَهَارِهِ كَأَلْتَبْرِيزُهُو بِاخْتِلَافِ نُقُوده
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَثُورِهِ مُتَوَعًا بِنُصُولِهِ وَنُقُوده

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرَّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءُ فِي حَرَيَانِهِ
فَأَبْكُرُ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجَدِي كُلَّمَا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَلِّطُ
وَالشَّمْسُ تَرَّغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْحُظَّةِ
وَالنَّهْرُ يَنْسِيمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ الْغُصُونُ قَبْلَهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مُذْقِلٌ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغُورُ الْأَقْحَوَانِ مَسْرَةً
٢٩٩ قَالَ الصَّابِيُّ فِي شِمْعَةٍ

وَلَيْلَةٌ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُذْجِنَةٌ
كَأَنَّ نَفْسِي بِهَا الْإِدْلَاجُ مُنْتَطِبًا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلٌ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غُصْنٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَثْمَرُ فِي
لَا النَّجْمُ يَهْدِي السَّرَى فِيهَا وَلَا الْأَثَرُ
عَزَمَ مَا هُوَ الصَّارِمُ الْعَمَصَامَةُ الذَّكْرُ
مَا حَاطَهَا قَبْلَهُ تَنَمُّعٌ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجَنَحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَاقُوتَةٌ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا دُونَهَا الْجَدْرُ
 ٣٠٠ قَالَ أَبُو أَلَاءِ الْمَعْرِي فِي الشَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفَرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعِيشَةِ الضَّنْكَ
 تُرِيكَ ابْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَلْدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
 وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
 فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثَرَةِ الضَّيْحِكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَيْغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَيْغَاءِ :

أَلْفَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْقَصِيحَةِ
 عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
 تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
 بِكَمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا تَسْمِعُهُ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةً
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 صَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرُزُّ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَانِهِ يُعَزُّ
 تَرَاهُ فِي مَنَقَارِهَا الْخُلُوقِي كَلُولُوهُ يَلْطَطُ بِالْعَقِيقِ
 تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْقَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 تَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرِطِ الْحَبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنْتُ عَنْهَا وَأَسْمَاهَا مَعْرُوفُ
 يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتْنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنٌ فَافْتَتَ أَهْلَهَا بِالْمُتَجَنِّقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَاحِيَةً تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٍ تُنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاسِكِيهِ إِفْقَدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى الْتِهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٍ عَلَيْهِنَ الْقَلَائِدُ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ وَقَدْ فُقدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُتَرَبِّ قَرِيبِ الدَّارِ مُلَقًى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذْرُونَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقِ
 فَمَا وَلَدُ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ قَوْلِي فَإِنِّي ذَاكِرٌ دَارَ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيُّ الدِّينِ الْحَلِيَّ حَدِيقَةً قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدَّوْحِ خُطْوَتَهُ وَلِلْمَيَّاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَاسِمَهُ وَالنَّجَسُ الْغَضْرُ فِيهَا شَاخِصٌ مُلْحَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِرٍ أَوْ أَصْفَرٍ قَاطِعٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَبْقُ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَعْرِى الْبَرْقُ مُبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْمَعُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرَبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْفُضْنُ فِي قَلْقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوحِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَالْدُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْدَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَغَيَّبَا
 وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ الْإِفْوَلِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِمَاتٍ بِشَجَرِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْنَمُ
 تُسَوِّحُ بِلاِ إِلْفٍ وَتُمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَدْقُمُ
 وَتُعْرِبُ فِي الْحَانِئَا وَفُتُونَهَا فَتُعْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَعْجِمُ
 وَتَنْظُرُ فَرَحِيهَا قَدْ اخْتَطَقَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشُهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْنِ زَمْنِي لَوْعَةً وَصَبَابَةً سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَانْكَمُ

٣٠٦ مِنَ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُوٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكَرًا إِلَى الرُّوضَةِ تَسْتَجْلِيهَا فَتَغْرِهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
 وَالْتَرَجِسُ الْفُضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَغَضَّ طَرَفَا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشُّرُورُ تَمْتَامُ
وَتَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَامُ
٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتٍ طَرَفِي أَمْ شِهَابُ هَذَا كَأَلْبَرْقِ ضَرْمِهِ أَلْتِهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحِ صَفْحَتُهُ نِقَابًا فَقَرَّبَهُ وَصَحَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النُّجْمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ أَسْحَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحِ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يُلْقَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْخَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ جِلْقَا
تَجِدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضَحُ مَنْطِقَا
بِلَدُ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مَحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَّادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَا سِيَّامَا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بِأَنْ تُحِبُّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْاسُهَا يَدْعُونَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرَوْنَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءُ لِلنُّفُوسِ وَمَاؤُهَا عَذْبُ زَلَالٍ سَائِعٌ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتِ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَقَا
وَرَأَسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّ سَحَرًا فَهَيَّجَتْ الْفُؤَادَ الشِّيقَا

كَيْفَ انْجَحْتَ يَخِرُّ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُضُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبِذَا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيٌّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَغْلُو أَلْجِيَادُ السُّبَا
 ضَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَنْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُ مَنْ وَصَفًا
 قَدْ دَنَدَنْتِ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقَشَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزَلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولَى التَّقَى
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَزْخَرُفَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلْقٍ بِهَجَّةٍ وَطَلَاوَةٍ فِيهَا السُّرُورُ تَحْمَقَا
 سَقَيْتِ دِمَشْقَ الشَّامِ صَوْبَ غَمَامَةٍ أَشْنَى عَلَى غِطَانِهَا فَتَدَقَّقَا
 كَمْ زَهَّةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(•) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقاناً بناءً وغرابةً صنعةً واحتفالاً تسيق وتزييناً . انتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأنق فيه . وأنزلت جذره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء . وخلطت بها أنواع من
 الأصبغة الغريبة قد مثلت اشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف
 كل واصف . فجاء ينشي العيون وميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذرعه ثلاثمائة ذراع . وذرعه في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٢ سارية و ٨ أرجل اثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة ابدع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته سبعة عشر خطاً . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَثَقَّتْ صُنَاعُهُ بُنْيَانَهُ فَآتَى الْمَزْخِرِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَتَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقَى
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَآذِنِ تَنْجَلِي مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ الْيَلَمَقَا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِرَثْمٍ يُشْجِي الْفُؤَادَ الشَّقِيَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمَشْتَاكِ بَابًا مُغْلَقَا
 يَا حَبْذَاكَ الصَّنْعُ أَشْرَقَ وَانْجَلَى قَعْدَا بِهِ مَاءُ الْأَسِيمِ مُرْقَرَا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَانِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجَمُّعًا وَتَفَرُّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عُلِقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيِّقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 المحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملونة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القبلي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها . ومحرابه
 من اعجب المحاريب الاسلامية حسنًا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كله . قد قامت في وسطه محاريب
 صفار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات قتل الاسورة . فانها مخروطة بمضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة بواب وباب جديرون اعظمها وله ولغيره دهايز
 متسعة يفضي كل دهايز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلَّهِ . أَيَّامٌ تَقْضَتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تُحَوِّ ظِلَالِهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَنَشَائِي لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلِعٌ وَتَحَلُّ أَنَسِي لَا الْغَوِيْزُ وَلَا النَّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لَذِيَا فُؤَادِي بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْحُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقًا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية القريبة ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهي كالحندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموًا . قد حُفَّتْ اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجانب الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تُقَلِّها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض ابواب صُفْر يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله ابواب صُفْر ترمي الماء علوًا فتخرج منها كفضبان البين فكانها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابداع من ان يوصف . وعن بين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُفْر وقد فتحت ابوابًا صُفْرًا على عدد ساعات النهار ودُبرت تدابير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صُفْر من في بازيين من صُفْر قائمتين على طاستين من صُفْر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهما للصنيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تخيِّله الاوهام سحرًا . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينطلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتفتح الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من الفخاس محرومة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محرومة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيبعد فتح الابواب ويسرح الصنم الى موضعه وهي التي تُسَمَّى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (للشريشي)

الْبَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والقييل

٣٠٩ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَيْلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْقَيْلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيَالَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْقَيْلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْيَابِهِ. فَجَالَ بِهِ الْفِيَالُ جَوْلَةً كَادَ يَخْطُمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلِهِمَا مُحْجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذَرَ الْقَيْلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِجُحَامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْقَيْلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنْ تَنَكَّرَ لِي مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْقَوَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازِمْتُ أَيْ لِزَامٍ
وَعُذْتُ بِنَائِيهِ وَأَذَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء .

٣١٠ حكى أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْبَارُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَمْحُكُمُ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذَا قَبَلَ شَابًّا مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . تَطِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفِيهِ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَحَبَاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبِيهِ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ . جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُتَزَّهِ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبًّا نَا صَغَارًا . وَأَوْلَا نَا مِتْنَا غِرَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَبِهِ تَطَفُّ بَانِعُ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَتَسَاءَلَكَ
الْقَصَاصُ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمُ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَظَنَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ قَمَا الْجَوَابُ . وَالْأُفْلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنْ الْإِسْتِيحَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَعَّ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ إِسَانٍ . وَحَيَّا
بِكَلِمَاتِ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَهَذَا وَعِيَا . فِي مَا أَدْعِيَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأْنِي

قِصَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمَ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَنْصَتُ فِي
 بَعْضِ طَرَائِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنْيَاقٍ إِلَى حَبِيبَاتٍ . عَلَى
 غُرُزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فُحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَبِيعُ الذَّكَاةِ .
 حَسَنُ اللَّتَاجِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ رَاجُ . قَدَنْتِ الثُّوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَاظِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلْتُهَا بِدَشْفَرِهَا . فَطَرَدْتُهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ذَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَاظِطَ وَزَفَرَ . رَفِيَ يَدِهِ
 إِلَيَّ حَجْرٌ . يَتِمَادَى كَأَلَيْتُ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفُحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَاطِطَ لُجْنِهِ وَأَنْتَابَ .
 تَوَقَّعْتُ فِي جَمَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بِيَدِي فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَابِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً . فَأَمْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَتَاَنِ .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجَبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعْنَا وَطَوْعًا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِينَا بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرَهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ

عَلِيٍّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذَتْ لِدَلِيلِكَ
 مَدِينًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
 بِمَثَلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبَ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
 يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مِنْ
 يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ . وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمَنُنِي عَلَى هَذَا
 الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
 مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالْعَوْدَ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى
 وَجْهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
 وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمَنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمَنُهُ يَا أَبَا
 ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ
 الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
 الْإِمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
 وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
 يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مَنْ قَدَفَرَّ . فَلَا
 نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقُّ الْمَلِكِ
 الْغُلَامُ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْغُلَامُ . وَقِفْتُ بِالضَّمَانِ .
 وَأَسَلَمْتُ نَفْسِي بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ .
 لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْبَضَتْهُ شَرِيفَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبْرَاتُ
 الْحَاضِرِينَ . وَأَرْقَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّجِيجُ . وَتَرَايَدَ

الشَّيْخُ . فَمَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ أَخَذَ الدِّيَةَ . وَأَعْتَسَمَ
 الْأَثْنِيَّةَ . فَأَصْرًا عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيًّا إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمَقْتُولِ . فَيَنَامُ
 النَّاسُ يَمُوجُونَ تَلَهُّفًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَتَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهَهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَغْرَ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّلَابُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنَ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمِنْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مِنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمُرُوءَةُ أَنْ تُخَيَّبَ قَصْدُهُ . إِذْ أَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ أَبِينَا . فَلْتُبَدَلْ وَحْشَتُهُ بِإِيْنَاسٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنْ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَفْزَرَ مُرُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلُسَانِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْيَتِّ :
 مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَائِزُهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةً
 أُبَيَّهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا شَفَعْنَا عَنْهُ ابْتِغَاءَ لُوجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مَنَّا وَلَا أَذَى . قَالَ الرَّأَوِي : فَأَعْتَدَتْهَا
 مِنْ أَنْفُسِ الْحَجَابِ . وَأَثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْفَرَاغِ (للاتلدي)

محمد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطَلًا شَجَاعًا فَابْتِغَاءً شَاعِرًا بَابِغَاءً .
 قَتَلَ أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبِغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُؤَيِّجُهُ بِتَغْلِبِ مُحَمَّدٍ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَثْلُغَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
 أُسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فَتَيَّةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَمَعَ لَهُمُ الْجَعَائِلَ
 الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا مُحَمَّدًا أَوْ أَتَوْا بِهِ أُسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْيَتِيُّ إِلَى طَائِفَةٍ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِلَّا نِقْطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثَّقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَا نَاهُو
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 مُحَمَّدٌ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَابُ الزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
 وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ ابْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُحِبُّهُ . قَالَ الرَّاوي : فَتَعَجَّبَ
الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي فَادِفُ بِكَ فِي
حَفَازٍ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَانَا مَوْتَتِكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبَ الْقَرْجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِأَمَلِهِ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَحْمِلَهُ
إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَ لَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ الْمُنْظَرِ كَثِيرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفَصِ حَدِيدٍ وَيُسْحَبَ الْقَفَصُ عَلَى عَجَلٍ .
فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَازِ وَلَمْ يُطْعَمْ
شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَلَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقِيدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ
نَهَضَ وَوَتَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَنْبِيرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَلَعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ رَهُوً يَقُولُ :

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي مَجَالِ صُنْكَ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكَ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَشْكَ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ

فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْجَبَ
الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرُكُ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَازِ وَذُكِّ
وَنَافَهُ وَقِيدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِإِلَادِكَ وَنَشْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُحْدِثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ اخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلَيْثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْبَهَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكَى الْوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَالِكَهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامَ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَنْسَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَأَفْتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِثْتُ عَلَى دِمِّي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَذْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

بِهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوَسْدٌ تَظْفِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَى فَبَقِيتُ أَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْقَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَالٌ حَامِلٌ كُلُّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبِرٍ
 وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَحِجْرَةً تَظْفِيفَةً وَكِيزَانًا جَدِيدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ تَظْفِيفَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَدَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرَبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلَمَ وَيَدْفَعُ أَلَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانَ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوْقُ لِنَفْسِكَ مَخَافَةٌ أَنْ تَتَقَرَّرَ مِنِّي . فَظَنَنْتُ فِي أَلَدِّ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّعْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأُتِيَ بِقَالَ
 مُخْتَلَفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبَهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفَعَلْ
 فَشَرِبْتُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَتِهِ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : أَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلكَ عُلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسِنُ
الْعَنَاءَ . فَقَالَ : يَا سُجَّانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونَ لِمَنْ
دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا تَبِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَّتَ مَرُوءَتُهُ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوَلَدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْكَائِمِينَ قَدِيرُ
فَأَسْتَوِي عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمَفْرِطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَغْنِي مَا سَخَّ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمَرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنْشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحِبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَنْشَى لَنَا النَّوْمُ أَغْنَانَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَنَا نَلَاقِي لَكَانُوا فِي الْأَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَدَاخَنِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْهَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبْتَ عَنِّي أَلَمْ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْهَاتِ فَأَنْشَدَ لِلشُّبَّانِ :
تَعِيرُنَا أَنْأَقِلِيلُ عَدِيدُنَا فَقُنَّا لَهَا إِنْ الْكَرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْمَشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي تَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَامِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ . فَقُمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَائِيرُهَا قِيمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلَكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخُذْ عَلَى
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ قُرْبُكَ وَحَاوُلَكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا أَقْتُلَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَتَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَّانُ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْوَنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرَطٍ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدِّعْشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّمْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْشَشْتُ مِنَ الثَّقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَرِيَّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَودَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرْشُوشٍ فَتَنْظَرُنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي مِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَزَلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرًا وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْبَبْنِي دَمِي
فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَظْلَعَتْنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
عَنِيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْغَنَى وَأَنْفَلْتُ مِثِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَّدَتْ لِي الْكَرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتَ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنْهَبُكَ .
فَالْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَنْجُو بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمُهَلَّةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَدَّتِ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِهْتِمَامِ بِالصِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ
قَدْ أَقْبَلَ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عِيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَقَعَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ الثَّارِ مُحَكَّمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعَفَّ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنْشَدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَحُذِّ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأُصْفَحْ بِجَهَامِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ لِي الْمَأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأَسْتَرَوْحَتْ رَوَاحُ

الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعِ مَنْ

حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارَ بِقَتْلِي

إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ

يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَهَذَا وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ

مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ تَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَكُنْ الْمَأْمُونُ

رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشَدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُنْعَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ : عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَقَوِّدَ مَعَهُ بِعُذْرٍ
 وَعَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَنَاطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمُسْكَارِمَ حَارَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْأَلُهُمْ بِقَابٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ : لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ . وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَالَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا . فَقَبَّاتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدَتْ :

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا
 قَلَوْ بِذَلِكَ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعْتَ
 فَإِنْ جَعَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
 إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ : إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدُرًّا وَهَذَا مِنْهُ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي : يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ . فَقُلْتُ لَهُ :
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ . فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِقْدِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أَجِرْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بِعَدُوِّ
 دَوَاتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَنِي
 الْغَفْوَةَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِخْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرَّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَخْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرَّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حُجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحُجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْنَعُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مَرْوَتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيقَةُ الْأَفْرَاحِ لِلْيَمِينِي)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْخَازِنِ الْكَاتِبُ الدِّينَوْرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَالْمُه :

رَحِمَ الْإِلَهُ مُجَدِّلِينَ سَلِيمَهُم مِّنْ سَاعِدَيْكَ مُبْضِعٌ مُّبْضِعٌ
فَعَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ فَتَطْوِي أَذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَفْصَدْتَهُم بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُم وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشَّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةٌ أَسْهَمُ أَمْ ذُو الْفَقَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقِيتُكَ بَعْدَهَا يَا عَنَتَرَ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدَرِّعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ يَطْلُبُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا انْتَبَهَوْا فِي اللَّيْلِ لَمْ أَنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغِهِمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُنْقِذُنِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُنُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِنِّي أَنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكِ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَخْطَبِ :

لَا تَظُنَّنَّ حَذَبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَيْذَالِكَ الْقِسِيِّ مُحْدُودِبَاتٌ وَهِيَ أَنْكَى مِنَ الظُّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَالَا السَّنَامُ فِقِيهِه لِقُرُومِ الْجِمَالِ أَيْ جَمَالِ

كُونَ اللَّهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتُ تَمِنَ الْفَضْلُ وَإِلَّا مِنْ الْإِنْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طَوْدٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْجُرُ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيبَةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَائِمِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُدْبَانِ
يَا مُشَبِّهَ الْفُضْنِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدْبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرَّيَّانِ
يَا مُنْجِلًا شَكْلَ الزَّمَانِ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةَ إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ يَدِيكَ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدْبَةٍ فِي حَلْبَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا أَشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطَرِبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنِعْمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدْبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقَوْ لِلطُّوفَانِ
وَمُدِيرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْبِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثَّلَا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدْبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلُّ مُكَرَّبٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
مُتَجَمِّعَ الْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطبيب والخليفة

٣١٧ يُحْكِي أَنَّ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَبِيبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضْعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا دَاءُ هَمِي .
وَعِلَاجُهُ بَيْنٌ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَعِي
وَأَسْتَوْصِفُهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمْدُهُ بِحُجَّةٍ بَيِّضٍ كَثِيرَةٍ الْأَثَرِ . وَضَعَ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ . فَقَعَلَ ذَلِكَ فَبَرِثَتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالسُّكْلِيَّةِ أَلَمُهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمَصِيبِ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَاحَةِ . وَالْإِسْتِغَالَ بِعِلْمِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ . وَبِأَنِّي
أَمْرٌ حَقِيرٌ . يُحْصَلُ الْمَالُ الْكَثِيرُ . فَبَاعَ آلاتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ . وَكَرَّارِيسَ مُخَرَّمَةً
مَنَازِرَ . وَوَسَّعَ أَكَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعِمَامَةِ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأُورَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَّامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عَامٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ	بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَبِيرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعَ لِذَلِكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً	وَجُمْلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعَ عَلَى الرَّأْسِ بَقْيَارًا تُدَوِّرُهُ	كَهْبَةِ النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَجْمَعَ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ مُخْلَطِهَا	وَأَسْحَقَ سَهُوفًا وَانْكَحَالَ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِلْتِ مِنْ أَسْمَاءٍ مُثْرِبَةٍ	كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْدُورِ
وَقُلَّ مِنَ الْهِنْدِ جَاهُذَا وَمِنْ عَدَنِ	هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكِ تَهْمُورِ

وَذَا مِنْ الْجَبْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنْ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِرَبُّورِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْإِسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمِ فَقُلْ تَوَرَّمْ مِنْ لَسَعِ الزَّنَابِيرِ
إِنْ أَقْشَرَ قُلْ بَرْدُ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرُّهُ وَهَجُّ الشَّائِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ دُونَهُ الْبُورِ
فَإِنْ يَعْسُ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمُ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ قُلْ عَلَيَّ وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ صِدْقُ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَعِيهَا فِرٌّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَاكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَذِيرِ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرَ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمَعْبَرِ
الْجَدِيدِ وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَاخَرَ أَعْطِنِي دِينَكَارًا
آخَرَ أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ
أُورِثَهُ الْوَهْجَ وَالضَّرَمَ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَمِيضِ صَمِّدْ رِجْلَكَ بِعِجَّةٍ بَيْضِ
مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَحَنًّا بِالنَّارِ فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِلًا وَلَهَبًا وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ
فَادَّبَهُ التَّأْدِيبُ الْبَالِغَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ وَاسْتَمَرَّ
عَلَى كَلَاخَتِهِ بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فَاكْهَةِ الْخَلْقَاءِ لَا بَنَ عَرَبِشَاهِ)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ مَا رَوَاهُ الْأَضْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ الْبَرِّيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَيْرِهِ. قَالَ: هَذَا يَقْصِدُنِي فَلَا يَكْلِمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي. فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تُضْرَبُ. وَالْحِيَامَ تُنْصَبُ. وَالْعَسْكَرَ الْكَثِيرَ. وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ. وَسَمِعَ الْغَوْغَاءَ وَالصَّحَّةَ ظَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَزَلَّ وَعَقَلَ رَا حِلَّتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. قَالَ: أَخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. قَالَ: الْآنَ قَارَبْتَ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. قَالَ: مِنْ قُضَاعَةَ. قَالَ: مِنْ أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَفْصَاهَا. قَالَ: مِنْ أَفْصَاهَا. فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ: مِثْلَكَ مَنْ يَقْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ. قَالَ: قَصَدْتُ هَؤُلَاءِ الْأُمَاةَ الْأَنْجَادَ الَّذِينَ قَدْ أَشْتَهَرُوا مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ. قَالَ: مَنْ هُمْ. قَالَ: الْبَرَامِكَةُ. قَالَ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ خَلَقَ كَثِيرٌ. وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ. وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ. فَهَلْ أَغْرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَأَتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ. قَالَ: أَجَلْ أَطَوَّلَهُمْ بَاعًا وَأَسَمَحَهُمْ كَفًّا. قَالَ: مَنْ هُوَ. قَالَ: الْفَضْلُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ جَلِيلٌ أَتَدْرِي عَظِيمُ الْخَطَرِ. إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا لَمْ يَخْضُرْ مَجْلِسَهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأَدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابُ وَالْمُنَاطِرُونَ لَعَلَّم .
 أَنْتَ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بَكْتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بَأَيِّ ذَرِيْعَةٍ
 أَوْ وَسِيْلَةٍ تَقْدِمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قُلْتُهُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَتَشِدُّنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِإِقَابِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَقَامَهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَحِقَّ إِشْعْرَكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ أَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَتَصَّهَرُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلُهَا غَذَّاهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لَاغْتَدَا الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحَنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَفَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحُوبَاءِ
 بَيْنِهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعِيَّتُهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُسْتَحِنًا هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقَتْكَ الْأَدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُنَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلْتُ جِهًا بِذُ فَضْلٍ وَزَنْ نَائِلِهِ وَمَلَّ كُتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقْتُ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَانِ الْيَتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَمَلِ لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقْتُ جَدًّا مِنَ رَمْلِ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدِّكَ قَدْ نَفَدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَانِ
الْيَتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ صَبٌّ وَبَازِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبُّ وَالْبَازِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذُكِرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَى الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةَ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ الثَّقَوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَجِرْنَا مِنْ الْقَاضِلِ وَالْمَقْضُولِ
أَنَشِدْنِي بَيَّتَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لَا عَلَى الْأِسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَتْهُمْ تُحُلُّ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . أَنَشِدْنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَحَنَنِي
 بَعْدَ هَذَا لِأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبَنِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَعَنَّ إِلَى قُضَاعَةٍ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَسْمِعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :

وَلَا تَمِةٌ لَأَمَتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقَاتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
 أَتَنْهَيْنَ فُضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِأُورَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْأَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمَةٍ قَفْرِ
 كَانَ وَفُودَ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَاقُوا عِنْدَهُ أَيْلَةَ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قُلْ لَهُ :
 فَأَقْلَنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطَى عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تَيْكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتِ اسْتَرْقَاقِهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتَجْزِيهِ بِهَذَا الْمَالِ .

فَقَالَ : أَسْتَحَقُّ بِحُضُورِهِ إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكْبَتَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ
وَأَوْمَأَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا
فَأَسْتَغْفِرْ مَا لَكَ وَيَكُونْ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكْبَةً فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسِكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ قَارِمٍ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَضْلُكَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَلَمْ أَنْزِلْ فَلَا أَنْبَسَطَتْ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَدَّلْتُهُ فَلَا مُبْقِي لِي بِخُلِي وَلَا مُتَلَفِي بِذُلِي
أُرُونِي بِخِيَالًا نَالَ مَجْدًا بِخِيَالِهِ وَهَاتُوا كَرِيمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ . أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرْقَوَانِمَ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بُكَاءُكَ يَا أَعْرَابِي .
أَسْتَقِلَّ أَلَا لِنَمَالِ الَّذِي أَعْطَيْتَكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلَهُ
الْتَرَابُ وَتُورِيهِ الْأَرْضُ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَأَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حَرٌّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للاتليدي)

أَلْبَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ
الْمُنْتَشِرَ صِيَّتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ فِي تَمْيِيقِهَا وَإِثْقَانِ قُصُورِهَا وَزَخْرَفَةِ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ
فَوَقَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَزْهَرَاتِ
وإِنْشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرُقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةَ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجَزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَآهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْتَحَلَ الْمُخْتَلَفَةِ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلَهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُرْدُّ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِي تَجَلَّسَ الذَّهَبِ وَالْقَمَةِ . وَعَجِيبَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِثْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَيْمَةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَبِرَاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرَمَرٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمَدٍ كَانَمَا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَتَمَاثِيلَ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا (الْكُفَى مَثَلًا). وَكُنْتُ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بِصَنْعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوْعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لَهْمَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهَرُ
الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتُجَاجَعُ صَبَّهِ. فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ جَنَّاتُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَبَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَتَمَثَّلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِفَخَامَةِ بُنْيَانِهَا. وَمَا
يَخُصُّ سَائِرَ الْبَنَاءِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُجَرَّعَ مِنْ رَيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيشَةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْيَتِيمَةَ الَّتِي أَتَّخَفَ النَّاصِرُ
بِهَا إِلْيُونَ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صِهْرٌ مَجْجٌ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّيْبِقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ أُنْعَقَتْ عَلَى خَنَائَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحِيطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَاكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزُّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِثْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الْمَرْمَرِ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاهُ وَأَخْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَتَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي وَسْطِ الْبُحَيْرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنْقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَابَ الْمَاءُ عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْيِيرِ أَحْكَمِهِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غَلَالَةِ مِمَّاسِكِبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتُرُ مِنَ الْجَزْيِ وَتُوقَدُ فِيهَا الشُّعُوعُ فَيُرَى لِدَلِكَ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (للمقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا بَلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنُهُ وَصَدْرُهُ . وَلَا وَصَفَهُ وَاصِفٌ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْثَارِ مَا لَا يَضْبِطُهَا أَلْيَانُ فَضَالًا عَنْ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ . قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعِظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفِنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ غَايَةً لَا يَلْبِغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَخْلِيفِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أُضْرِمَ بِرَأْسِهِ قَبَسٌ ظَنَّهُ الْمُتَأَمِّلُ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقيَاسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ قَدْرُ زِيَادَةِ قَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُوتَةٍ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ أَكْتُوبَرٍ . وَالْمِقيَاسُ عُمُودُ رُخَامٍ سَمَرِيٍّ فِي مَوْضِعٍ يُنْحَصِرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ. فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْقَيْضِ فَهِيَ الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طِيبِ الْعَامِ. وَرَبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْقَيْضِ. وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَّاجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مِثْلَ وَمِثْلَ

وَمِنْ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ. وَهِيَ عَلَى تَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلَى الإسْكَنْدَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجِزَةُ الْبِنَاءِ غَرْبِيَّةُ الْمَنْظَرِ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى رُكْنِهِ أَلَا ثَمَانَةَ خُطْوَةٍ وَسِتُّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. وَرَبَّمَا أَمَكَّنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلَقَّى أَطْرَافُهَا الْمُحَدَّدَةَ كَمَا أَوْسَعَ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّحَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ الْمُنْحَوْتَةِ وَرُكِّبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعَ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُعْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ نَقْضُ بُنْيَانِهَا. أَمَّا الْأَهْرَامَانِ الْعَظِيمَانِ فَمُحَازِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مُرَبَّعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عَمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سُطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ مُرَبَّعٌ رَحْبٌ. وَهُمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِثْقَانِ

الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل
السحاب وزعزعة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجارته بلاط إلا
ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يتخلل بينهما
الشعرة . وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين . قال بعضهم :
ما سمعت بشيء عظيم فحجته إلا رأيت دونه صفته إلا الهرمين . فإني
لما رأيتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتهما . وقد اختلفوا في من بنى
الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعظيما الأجرام
ملى مؤنقة البناء شواهد قصرت لعال دونهن سهام
لم أدر حين كبا التفكير دونهما واستوهمت لعجيبها الأوهام
أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل هن أم أعلام
وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن
يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم .
فبقى ذكرهم على تطاول الدهور . قال أمية بن عبد العزيز :
بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا على ما رأت عيناك من هرمي ومصر
أنافا بأعناء السماء وأشرقا على الجوا إشراف السماء أو النسر
وقال الفقيه عمارة اليمني الشاعر :

خيلي ماتحت السماء بنية تمائل في إيقانها هرمي ومصر
تنزه طرقي في بديع بنايتها ولم يتنزه في المراد بها فكري

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنُ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنَعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَنَّ بَابَ
أَخْفَتْ عَنْ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابٍ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْإِنْيَامِ مُمَامَةً مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْخُرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ خَلْفَ
خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَعْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ التَّمِيطِ إِذَا نَضَبَ الْمِيَاهُ . قَالَ ابْنُ خَرُوفٍ :

مَا أَعْجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَذْوَاحُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تَرْعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنتره والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَغَّلَ عَنْتَرُ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالنَّمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرَّوَّابِيَّ وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . وَبَعْدَ
عَنْ حَيِّ عَبَسَ . فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسُرِحتِ الْأَغْنَامُ تَرْعى. فِي ذَلِكَ الْمَرْعى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
 الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَتَجَتَّرُ. أَفْطَسُ الْمَخَرِّ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرَرُ. يَقْلِبُ
 الْوَادِي إِذَا هَمَرَ. بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ. وَتَخَالِبُ أَمْرٌ مِنَ الْمَصَائِبِ.
 شَدُوقٌ شَدَقَمٌ. عَبُوسٌ أَذْغَمٌ. تَسْمَعُ الرَّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمَدَمَ. يَلْعَمُ الْبَرْقُ
 مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ الْحَيْلِ صَغْبُ الْمِرَاسِ. عَرِيضُ
 الْكَتِفِ كَبِيرُ الرَّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَأَتْهُ
 فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ الْتُوقُ وَالْجَمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالْشِّمَالِ.
 فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ.
 وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ. وَهُوَ
 يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرَرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
 زَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
 الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْفَلَا. يَا نَحْسَ وَحُوشِ الْيَدَا. فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
 بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ. وَأَفْتَحَرْتَ بِهَيْبَتِكَ وَهَمَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ مَلَكُ
 السَّبَاعِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمُطَاعُ. وَلَكِنْ عُدْ بِالْحَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا
 كَمَنْ لَا قِيَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا مُهْلِكُ الْبَطَالِ. أَنَا مُيْتِمُ الْأَطْفَالِ.
 فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
 الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يُشْدُ:
 يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعَفَّرًا مَنُوبًا
 أَتُرِيدُ أَنْوَإِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْذِمَا مُخَضُّوبًا

شَرَدْتُ أَغْنَامِي وَلَمْ تَكُ عَالِمًا أَنِّي هِرَزْتُ لَا أَزَالُ مُرُوبًا
 هَذِي فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شُرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ نَحْوِي تَبْتَغِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَفَاكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَضُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعُ الْبَرْدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرْخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرْخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفِّهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكِيهِ . إِلَى حَدِّ كَفِّهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْجَحَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبِيهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ

(سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمُ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الْمَتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
 الْمَجْحَمِ أَيْ الْمَقْلِيِّ . وَصِفَتُهَا أَنْ يُوَضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ الْمَجْحَمِ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبُنِّيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتِوَائِهَا بِطَعْمِ مَذَاقِهَا
 إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمِنْ قَائِلٍ بِحَالِهَا بِرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَزْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ لِطَلَابِهَا . وَمِنْ قَائِلٍ بِجُرْمَتِهَا مُفْرِطٍ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شُرَابِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ التَّصَانِيفُ وَالْفَتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِجُرْمَتِهَا فَأَدَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَمَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الْأَضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالتَّعَصُّبَاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ النَّخْوَةِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِقْتِهَاءِ وَهُوَ الْاجْتَوَاءُ أَيْ الْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنَ الْإِقْتِهَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْعَادِ
 مِنْ أَقْهَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيْ قَعَدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقُعُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْهِي أَيْ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَرْوُوفِ بِالذَّبْحَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِيُوزِينَةَ تَصْحِيحِ
 الْفِتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَقْتَضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ الْأَحْمَرِ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَفَنَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تُذْهِبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدَنَ خِفَةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشُرْبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَتَابَعَ
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شُرْبِهَا لِلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَزَلْ فِي انْتِشَارٍ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهِبُ هَمَّ الْفَقِي أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نِعَمَ الْمُرَادِ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيمُهَا قِشْرًا قَتَاتِي لَنَا فِي نَكْمَةِ الْمِسْكِ وَلَوْنُ الْمِدَادِ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَأَنَّ ابْنَ الْخَالِصِ فِي حِلْبِهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخَرُ :

عَرَّجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَالْلُّطْفُ قَدْ حَفَّ بِنُدْمَانِهَا
فَانِهَا لَا غَمٌّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ السَّاقِي بِفَتْجَانِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَانِهَا نَغْسِلُ أَكْثَادَنَا وَتَحْرِقُ الْهَمَّ بِدِرَانِهَا
يَقْرَأُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَنْبَى عَلَى الْخَمْرِ وَأَذْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبُطْلَانِهَا

(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٣٣ إِيَّامَ أَنْ فَضَلَ الْأَنْدَلُسَ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوها . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
رَزَلُوها . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقٍ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشِّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبِمَقَاعِهِمُ النَّصْرَةُ وَهُمْ الْأَيَّةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَيْمِ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضَّمِيمِ وَقِلَّةِ أَحْتِمَالِ
الذُّلِّ وَالسَّمَاخَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدُّنْيَةِ .

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
 صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمِهَنِ الصُّورِيَّةِ .
 تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهِمَّاتِهَا .
 بَغْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ .
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ .
 وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاَتِهِمْ لِمُضْرُوبِ
 الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَذْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِنِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُنُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّبِ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدَقُ
 النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
 اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمُوشِحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مَنَازِعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْثُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوُّ طَبَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِسَّةِ الْأَخِيرَةِ
 الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُوةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا فِي الْبَوَادِي إِلَى مَا أَعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَنْبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَخَذُوا الْأَرْضَ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلَّمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغَلَّاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَاسْتَوْطَنُوهَا : وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعُمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بَلَدِيٌّ مَا وَجِدَ أُنْدَلُسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَائِعِ فَإِنَّهُمْ فاقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعًا لَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَغُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِذْقِ وَالْتَّجْوِيدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَأَسْتِنبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَنْبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى وَصَنَعَ آلَاةَ
الْمَعْرُوفَةِ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَأَحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْإِحْتِيَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمَكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَلَّلَ لِلنَّاطِرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْغُيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للمقري)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلخوا عينيه ثم قتلوه وملسكوا عليهم جرام المرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتكبر كانه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى موريقي كتابا نسخته:

٣٢٤ لِلْأَبِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
أَبْنِ هُرْمَزِ السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُعْلِمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عَبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نِعَمَ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْرَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونُ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمَرْدَةِ . وَلَئِنْ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلُ وَأَقْلُ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَرَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُعِدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسئلته لانه لجأ اليه فأنجده
بمشرين ألفا . وسير له من الأموال أربعين قطارا ذهابا وكتب اليه كتابا نسخته:

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَيْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
 غَمَطًا وَخَرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَخْصِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسَدَ تَارَتْ تَحْتَهُ جَنَاحُ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْأَسْتَظْلَالَ بِكَتْفِهِ
 آثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَآدَا وَكُنْتُ لَكَ أَبَا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ أَلْجُوشَ
 وَسِرَّ عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْزُكَ الصُّجْرُ وَالْهَلَعُ . بَلْ تَشْمُرْ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تُقْصِرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَنْتَ حَاطَتْ عَنْ
 مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْهِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيُرْدَّ كَيْدَهُ فِي ثَمَرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِنْ مَرَّتْ بِكَ بِرَجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لابي الفرج الملقب)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
 مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبَيِّنَاتِ
 الطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

أَقْدَمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخَرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجِبْ
 الْخَرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مِنْ تَعَامُ قَوْمٍ مُحْصُورُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِئُنِي فِي الْخَرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْنَدُ عَنْ الْحَقِّ وَأَنْتَ كَتَبْتَ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَتَنَزَّطُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَتَصِيرُ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 وَالسَّلَامُ (لجلال الدين السيوطي)

كتاب غنبة بن اسحاق الى المأمون وهو عاملة على الرقة
 يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّادِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا يَرْدَعُ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ
 لَا ذَنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيَضِجُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْمَشِيمِ ذَرَّتُهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

(فوجه عبسة باليتين الى الاعراب فابقي منهم اثنان) (لابن عبد ربه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ اَنَا اَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلَ وَذَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِعْقَالٍ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَشِمْتَ حَاسِدٌ. وَلَعِبْتَ بِي ظُنُونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَا عِبَاءَ وَلَهُمْ مُخْرَسًا. وَاللَّهُ دَرُّ أَبِي الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ): اَنَا أَسْعِدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهَدْتُ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتُ. وَلَيْسَ مِنْ أُنْسِينَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مِنْ أَخْرَنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ غَلَّتَكَ وَتُعْرِفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ

(للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُخَصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدٌ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيحَتِي. أَرَى بِبِمَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامَهَا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقُّفَ الْمُخْتَفِ عَنْكَ

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ. وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلْبَ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصُّنْعِ لِلَّهِ. فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نُمَجِّدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ. وَلَئِنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا. لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسْئَلَتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذِّلَّةِ.
 (فَصْلٌ): لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوِدَّ وَالْإِتْمَامَ. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجِزِّيَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 الْفِرَاسَةَ تَعْدُنِيهِ فِيكَ. (فَصْلٌ): قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِذَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْقَطْتُ

(العقد الفريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنة المنذر وابعدته لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إني قد توَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ. وَأَضْجَعْتُ مَسْلُوبَ الْغِرِّ فَقِيدَ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ أَرْتَكِبْتُهُ وَعِلْمُهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَ الدَّهْرُ لَا عَارًا بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

(المقري)

(فلما وقف الأمير على رُفْعَةِ أَرْجَعِهِ إِلَى مَا اعْتَادَهُ)

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الحلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمُ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِيءُ النَّوَاحِي وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَقَتْ. وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تُفْرِدْنَا فَنَقِلْ. وَلَا تَفْرُدْنَا فَنَذِلْ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افریقیة لبعض الاصدقاء.

٣٣٤ سِرُّ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَحُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَلِلَّهِ دَرْ كَمَالِهِ إِنْ طَلَعَتْ بَذْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةٌ بِمُجَيَّاهُ. فَهَوَاؤُكَ قَدْ حَوَى نَجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى
طُلُوعِ بَذْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
بِنَهْ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَبَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْنَيْكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَضْبَعُ غَضَبَانَا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ نَحْوَ الْبَابِ نَاطِرَةٌ وَقَدْ صَفَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَعُ بِمَجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ شَمْلُ مَسَرَّاتِ الْهَنَاءِ بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبْذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب صاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوِّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْنَيْكَ كَعَقْدِ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَمَرِهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَخْبُثَ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلِيَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضَتْهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُودُكَ شَافِعًا . (فَضْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقُّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النِّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ أَقْلَبِكَ كَيْفَ أَتَقَلَّبُ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَنِّي ذَهَبْتُ
وَأَتَعَجَّبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَعِينَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَضْلٌ) . إِنْ مَسَّلْتَنِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللَّوْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزٌ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتُكَ
مَا سَنَحَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِمَنْعِ مَعْرِفَتِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْنِينًا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقُّبًا أَنْتِبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ .
وَصَبْرًا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطَوْرِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلَطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حِمَاكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَثْبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بِتَقَاضَى كَرَمُكَ إِنْجَازَ وَعْدِكَ إِذَا كَانَ أَبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فَصْلٌ) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَش . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِمَاتِهِ مِنْ أَنْ تُرَدَّ يَدُ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَاذَا الْوَزِيرُ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تُرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ النِّعْدُ فِي الصُّنْءِ مِنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأَا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
 وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تُمْ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلاً
 فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِ سَبِيلاً إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلاً
 فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَوَمَا سَاحَ الْخَلِيلُ خَلِيلاً

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ قُبْحُ فِعْلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
 وَوَضْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
 طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدِّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
 هَيْبَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَتَدَمَّ عَلَى حَسَنَةِ (لِخَوَارِزْمِيِّ)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُذَرِكَنِي
 وَإِيَّاكَ عَمِيَاءَ مَجْهُولَةٍ . وَضَعَائِنُ مَحْمُولَةٍ . وَأَهْوَاءَ مُتَّبَعَةٍ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٍ . فَأَقِمِ
 الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرِ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْتَحِ بَابَكَ لَهُمْ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرُ أَنْ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَسَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْبَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ
 وَمَرْكَكِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَمِيَّةٍ

وَالْمُخْبِرَةُ حَلِيفُكَ . وَالْدَّقْتُرُ أَلِيفُكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِخَاكَ . فَتَغْيِرِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِيزُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيَقْدِمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ .
إِزْدَادَهُمْ هَوْلًا فِي إِحْسَانِهِمْ وَزَدَجِرَهُمْ هَوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَضْلٌ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لَخُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِعَبِيدِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَضْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتْ الرُّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَتَدْبِيرَهُ وَذِيَّهُ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ .
وَبِحَيَاظَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ . مُوَيَّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالتَّمَكُّنِ .
مَوْصُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول لمحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُعْجَةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقُتَّ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَتَحْنُ نَجَاءٌ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرُّأْيِ وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المدبر

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُشْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنَ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَذْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤَنِّينَ مَعَهُ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقُكَ كَتَبْتُ

مَهْنًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بَزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ ، وَفِيَاءً عَمَّا قَبْلَهُ ، وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِعَفِيرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لِمَهْدٍ مَالِكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتَنِي إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَانِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ تُنْخَوِّكَ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلْتَ فِيهِ الْعَادَةَ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْتَصِرْنَا عَلَى هَدِيَّةٍ تَقْضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنَّبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَتُخْلَفُهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَلْقَاكَ بِهَا (لابن عبد ربه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥١ بَلَّغَنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ غَمٍّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خَطْبٌ ثَقُلَ حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى الْمَعْرِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمَعْرِي . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفَاجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَذَعَةً يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاتَّةِ الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوَّلَى مَنْ تَأَنَّى وَسَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقِيلَ تَأْدِيبُهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرُّعِ غُصَصِ الْبُلُوِّ مَنْ تَجَرَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأَنْسُ مِنْ كُلِّ قَعِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْغَايِرِينَ وَمَوْرِدُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَالِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِأَحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْقَائِزِينَ وَقُرْبَةُ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَمَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِي مَا خَلَقَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَكْثَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالدِّ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبَرَ لَهُ عَلَى أَكْثَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى مليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تليد له قد ظهر عليه الجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبْرُ الْجُدَرِيِّ فَقَالَ مَبْنِي وَهَمَّ حَزَنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَنَّهُ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قَظِيمَةٌ
شَنِيعَةٌ . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقُهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سُودَ الْأَوْنِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا بِمَنْ خَاقَ عِلَّتَكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ .
وَلَسْتَ تَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلُ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَا دَاءَ أَذْوًا مِنْ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهْلٍ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيِّبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بانه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَنِي
أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَهْرًا
وآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمُكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِّي لَوْ قُرْبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالْتَّمُهِدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَقِسْمِكَ . وَمَرِضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ الْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَتَمِكَ (له)

فصول في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبَتْهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يُلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْضِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُكَافَأَةٌ لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدُنَا
مِنْ الذِّمَامِ مَا يُلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمَعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِّي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥) . هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدِ
التَّمِيمِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ . وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْلُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمَرَاغِيِّ
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بِدِينِهِ . ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ . وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ :
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَعِيلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَتَّبِعُهُ
وَالْبَسْ لِسِرِّكَ مَا تُخْفِيهِ مُجْتَهِدًا وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يُجْنِي صِدْقُهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سَوَاءُ الشَّرِّ يُجْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقُضَاعَةَ الْحُرُوبُ الْمَشْهُورَةُ
وَتَعَاظَمَتِ الْقِتَّةُ بَيْنَهُمْ وَأَتَسَمَّتْ أَغْيَا التَّدْبِيرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ .
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ . فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كُلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم بجنح
على الكثير تاريخهم . وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق
المقام بوضعه في الجزء التالي . وقد اصطَلَحْنَا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد
والثاني على سنة الوفاة . وان لم تر الا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة وهو بحسب التاريخ المسيحي

وَسَارِ قَبَائِلَ رَيْبَعَةٍ يَسْتَنْجِدُونَهُ وَقَالُوا : قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ . وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ . فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 لَعَنِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِتْنَانِي أَوْ أَسِيرُ
 أَوْ أَتْرُلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بَأْسِهِمْ وَتَجَدُّهُمْ فَشُدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَابْدُؤُوهُمْ بِالْفَارَةِ . فَوَضَعُوا فِيهِمْ
 السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا . فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقُضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةِ مَرْبَعَةٍ .
 وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ . وَأَمْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ .
 وَعَظُمَتْ مَنَزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَاسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَاثْنَوْا عَلَيْهِ
 جَمِيلًا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ .
 ٣٥٩ (إِمْرُؤُ الْقَيْسِ ٥٦٦) . قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : هُوَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
 ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبُ الْمُلَقَّةِ الْمَشْهُورَةِ . وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَارِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَالِيَا الشُّعْرَاءِ . وَكَانَ حُجْرُ
 أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً . قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :
 فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ : الْحَزَنُ عَلَيَّ
 وَاللَّعْنُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً . وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةٍ
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَلِكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّرَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْعَرَبِ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرْقًا فَقَالَ :

أَرَيْتُ إِبْرَاقَ بَلِيلِ أَهْلِ يُضِيِّ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
 أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَرَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلُ
 يَقْتُلُ بَنِي أَسَدٍ بِهِمْ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ
 ثُمَّ أَرْتَحِلُ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغَلَّبَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
 وَبَعَثَ الْعَمِيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعَمِيُونَ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
 فَهَضَرَ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَامُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرْحَى
 وَالْقَتْلَى فِيهِمْ . وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتِ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
 وَتَغَلَّبَ أَبُو أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
 فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
 قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشْوُومٌ . وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
 عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَهَرَ بِبَنِي أَسَدٍ
 (قَالُوا) وَأَلَحَّ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَأَمَدَّهُ أَنْ يُشِيرَ وَأَنْ يُجِيشَ مِنْ
 الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
 عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكْكِ الْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
 حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يَتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَمَا
 لَبِثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
 يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكْكِ الْمُرَارِ . فَأَسْلَمَهُمْ وَتَجَا
 أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَيْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِ

الْقَيْسِ وَالْأَذْرُعُ وَالسَّلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنٍ
الْفَزَارِيُّ : يَا ابْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرَ لِضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمُجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَيْتَاءُ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَيْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاجِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسَبِّقْ
وَعَرَفَ لِمِ السَّمْوَلِ حَقَّهُمْ فَأَنزَلُهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سُمَرَ
الْفَسَّانِيِّ بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَذْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْفِيًا . ثُمَّ إِنَّ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ عُذْرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْرُوكَ بِمَنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

حِينَئِذٍ بِحُلَّةٍ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٍ مَّسْجُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرْسَلْتُ
 إِلَيْكَ بِحُلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ فَأَلْبَسُهَا
 بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَةِ . وَاتَّكَبْتُ إِلَيْكَ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ
 لَبِسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ السُّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسَمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الآغا نِي)
 ٣٦٠ (عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زُرَّارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
 شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أُنْفِغَ طَرَحُهُ فِي الْكُتَّابِ
 حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَّابِ الْفَارِسِيَّةِ .
 فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
 مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِم بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشُّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرُّمِيَّ
 بِالنُّشَابِ فَخَرَجَ مِنْ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَاءِ . وَتَعَلَّمَ لَبَّ الْعَجَمِ عَلَى الْخَيْلِ
 بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ أَثْبَتَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيْوَانِ كِسْرَى . يُؤَذِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخُلَاصَةِ
 وَهُوَ مُتَجَبُّ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَمِيرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
 اسْمُهُمَا أَبِي وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجْزَلَ صِلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَّاهُ
 مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشُّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
 أَلَا مَنْ مَبْلُغُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى التَّصَيِّحَةُ بِالْمَغِيبِ
 أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ يَا أَبَنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسَأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يُسَادِرُنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَشَنَ خَانَهُ خَرَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلِبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كِسْرَى :

وَتَقُولُ الْأَعْدَاءُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيْقَنُوا بِفَلَاقِ
يَا أَبَا مُسَهَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنُ الْعِرَاقِ
أَبْلَغًا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوْتَقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغِلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْضَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمُ إِنْ عِيرًا تَجَهَّزْتَ لِأَنْطِلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كِسْرَى فَسَكَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَا مَرُّهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِي فَأَعْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لابي الفرج الاصبهاني)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدي الى كسرى سكت اشهرًا
على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى آتاه كتابه أن أقبل فان
للك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب
وليس احد منهم يقبله خوفًا من كسرى . فقال له بعض اصحابه : عندي رأي لك لست أشير
به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل امرئ
يحمل بالرجل ان يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل أحد . ولأن
تموت كرمًا خير من أن تتجرع الذل أرتبقي سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .
 وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنْ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيُفَكُّ الْعَانِي وَيَحْمِي الذَّمَّادَ
 وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
 وَيُنْفِثِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
 الْعَرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثُمَا
 نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَغْنَاهُ . وَإِذَا
 سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
 يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّهِ الطَّرِيقُ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
 أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحَ يَأْمُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
 عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يَنْحَرُ عَشْرًا مِنْ الْأَيْلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دَوَاوِينَ الْعَرَبِ)
 ٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٧٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 الثَّقَفِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةً مِنْ
 رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَضْلَانِهِمْ يَتَعَبَّدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعَثِ . وَيُنْشِدُ
 فِي أَثْنَائِهِ الشُّعْرَ الْمُبِيحَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْقَى نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا إِنْ صَفَحَ عَنْكَ فَعَدَتْ مَلَكًا عَزِيزًا . وَامَّا إِنْ
 أَصَابَكَ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِنْ يَتَلَعَّبُ بِكَ صَمَالِكَ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفُكَ ذُنَابُهَا وَتَنَاصِلُ مَاكَ
 وَتَعِيشُ قَبْرًا مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلُ مَقْبُورًا . فَضَى إِلَى كَسْرِي حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَلَغَ كَسْرِي أَنَّهُ
 بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَبَضَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَجْنٍ كَانَ لَهُ بُخَائِنَتَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
 الْكَلْبِيُّ : الْقَاهُ تَحْتَ أَرْجْلِ الْفِيلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بِحَيْنِ (الْأَفْطَانِي)

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كُبْرَى زَارٍ فَأُورَثْنَا مَا ثَرَانَا بَيْنَا
 وَكُنَّا حِينَمَا عَلِمْتَ مَعَدٍّ أَقْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
 تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
 بَأْنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَقَرٍ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِينَا
 وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
 وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنْخَتِ خُطُوبٌ فِي الْعَشِيرَةِ تَبْتَلِينَا
 وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍّ أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
 نُشَرِّدُ بِالْخَافَةِ مَنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
 نَسِيرُ بِمَعَشَرٍ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
 وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
 فِيهَا وَرْدٌ أَيْضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْفِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي نَشْرُهُ يَبْقَى مِنْ طِيبِ مَعَانِيكَ
 دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكَ
 وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنُ جَدْعَانَ التَّيْبِيِّ صَدِيقَهُ :
 خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
 وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
 إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَمَرُضِهِ انْتِئَاءُ
 قَالَ الْأَشْجِيُّ : لَمَّا مَرِضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَلَلٌ يَقُولُ :
 قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرْضَةُ مَنِيَّتِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَلْبُ لَا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكَمَا لَبَّيْكَمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا . لَا مَالَ لِي
يَفْدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْسِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لِيَتَّبِعِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا بِي زَكْرِيَا النُّووي)
٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْدَرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
نَضْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ أُمَّ الْبُلُوكِ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُذِنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَتَذَاكَرُوا مَآثِرَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا فَالْتَفَتَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَبَعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبِئْتُ أَنَّكَ تُجِيدُ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ سَخَطُوا أَنْ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْئٌ وَلِعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَاللَّهِ تَفَاتُ تَذَكُّرُ الْأَسَدَ مَا حَيَّتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَخْسَبُكَ جَبَانًا هَرَابًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ نَظْرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْتَى كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صِيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَشَارَةَ حَسَنَةَ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا وَتَحْنُ زُرَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ
 الْغَسَّانِي مَلِكَ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةٍ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
 عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ . وَأَذُكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمَعْرَاءُ
 وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هَذَا
 الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمُ الْغُلِّ . أَشْجَارُهُ مَمْنَةٌ
 وَأَطْيَارُهُ مَرْتَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوَحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ . فَأَصَبْنَا مِنْ
 فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءُ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَمَاطَلَتَهُ إِذْ
 صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيَهُ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْثَ أَنْ
 جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْخَيْلُ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَهَمَّرَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
 بِشِكَالِهِ . وَنَاهِضٍ بِمِقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّ السَّبْعَ قَفَزَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَاهِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
 الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَطَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
 بِصَدْرِهِ نَحِيطٌ . وَلِبْلَاعِهِ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ . وَلَا رِسَاغِهِ نَقِيزٌ .
 كَأَنَّمَا يَخْطُ هَشِيًّا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةٌ كَالْعَجْنِ . وَخَدٌّ كَالِلسَنِ .
 وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفٌّ شَذَّةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
 مَخَالِبِ كَالْمَحَاجِنِ . فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَارْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
 كَالْمَعَاوِلِ مَضْفُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْبَى فَأَقْشَعَرَّتْهُ مِثْلَ فَالْكَفْهِرِ . ثُمَّ
 تَجَمَّهَ فَازْبَارَ . فَلَا وَذُو بَيْتِهِ فِي السَّمَاءِ مَا أَتَقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَارَةٍ
 كَانَ صَنْحَمُ الْجَزَارَةِ . فَوَقَّصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَّضَ مَتْنِيَهُ فَجَعَلَ

يَلُغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا أُعْجِرَ ذَا حَوَا يَافَنْفَضَهُ
نَفْضَةً تَرَأَيْتَ مَفَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَقَرْتُ ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَبَر . ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ أَلْبَرْقُ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبِمِائِهِ .
فَارْعِشَتْ أَلْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتِ أَلْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيَفٍ وَدُفِنَ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَامِي ٧١٠) . هُوَ لَقَّبُ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَا مَدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ إِحْزَابَةَ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ ثَقَلِ اسْتَحْرَجَهُمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَامِيُّ . وَأَخَذَتْ إِبِلُهُ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :
يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمَقْدَمِ .
إِذَا أَتَجَمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا تُنْجِمِ . إِنَّكَ وَأَبْنُكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَتْمِكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْمَذَتْنِي مِنْ بَطَلٍ مُعَمَّمٍ وَالْحَيْلُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاصًا بِشِعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيْيَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ . قَالِ السَّمَاعُ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ . قَالَ : وَمَا قَالَ . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ :
 إِنَّا نَحْبُوكَ فَاسْلَمْ أَيْهَا الطَّالُ وَإِنْ بَدَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَالِ لَا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْقِلُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : ثَكَتِ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ . هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِقَةِ . وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ :
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَا أَخْطَلُ اللِّسَانَ . فَقَلَبَتْ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلَّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ . وَهُوَ وَجَرِيذٌ وَأَقْرَزْدَقُ
 طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ . سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةُ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرُهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَجَاهِلِيَّةٍ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيرٍ : مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا أُجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِلْفَرَائِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيرٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّابِغَةِ لَصِحَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّهُ بِأَجَاهِلِيَّةٍ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرِ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِيبُ فَرَا حُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَّغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَنِيحَكَ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشَعْرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَرَ لَهُ بِحِفْظِهِ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَلَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَعْرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَجِيءُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزْرَوِيٌّ عَنْقُهُ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٍ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٍ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى النَّوَاجِذَ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَائِضِ الْغَمْرَةَ الْمُيُونُ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْنِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعَذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَبَعَثْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرْتُ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنْ أَلْقَسَ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتُكَلِّمُهُ لِيُخْلِيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْقَسَ فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّم . فَقُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ تُخْلِي عَنْهُ . قَالَ : أَعَيْدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدَّرَكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَمَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الآغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أَسْقَفُ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمٌ وَحَكِيمٌ وَحَكِيمٌ فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ يَسُوقُ عَكَازَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ قَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلٌ
دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَتْرَاجٍ . بِحَارٌ تَرْخَرُ . وَنُجُومٌ تَزْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
وَبُرٌّ وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَدْرَكَهُ فَاتَّبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وحنين الحيري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة
متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصّر قبل وفاته . ومنهم أبو قابوس والرباب بن البراء وخالد
القسري . وقد ذكّرهم جميعاً صاحب الآغاني . ومنهم أبو المليح الماتى ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي ورثاؤه للتبني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطبيب .
ومنهم ساجان بن اسماعيل الماردني وله نظم رقيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنّانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري
يقولوا الصائغ وغيرهم ممن يستغني بشهرتهم عن ذكرهم

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمِضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاكِرُ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَاثِرًا (*)

٣٦٧ (إِلْيَا الثَّلَاثُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخَلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِهِنَّ
فَانتَشَرَتْ شَهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
الْإِخْتِيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِثُّهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكِرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ فَطْرَكًَا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ... وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْخَيْرَاتِ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأتظني عن بعضهم قال: بينا أنا بجبل يقال له سيمان في يوم شديد
الحر إذ أنا بنفس بن ساعدة وبقبرين بينهما مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فاتخذت بينهما مجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بها ثم ذكر أيامها
فبكى ثم أنتأ يقول:

خليلي هباً طالما قد رقدتما	أجداًكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلمما ما لي براوند هذه	ولا بخزاق من نديم سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحاً	طوال الليالي أو يحجب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما	كان الذي يسقي المقار سقاكما
أناديكما كما نحيباً وتنطقا	وليس مجاباً صوته من دعاكما
أمن طول نوم لا تحييان داعياً	خليلي ما هذا الذي قد دهاكما
قضيت باني لا محالة هالكاً	وأني سيعروني الذي قد عراكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي	يرد على ذي عولة إن بكأكما

مَارِي الرُّسُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّيِّئِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْحِلَقَةِ سَخِيًّا بِأَمَالٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِيمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَرَّ الْكُرْسِيَّ تَذْهِيرًا
 حَسَنًا وَأَسْتَبَاحَ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَدَيْ نَفْسِهِ وَيَعِزِّيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ:
 أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخِطَابِ
 بَيْنَ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَمْلِكُكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعبدرو بن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيُورْجِيَسُ بْنُ بَحْتِيشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَ مَا بَنَى بَغْدَادَ أَذْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَّتِهِ وَسُوءٌ اسْتِمْرَاءٌ وَقَلَّةُ شَهْوَةٍ
 وَكُلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضَهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْجِيَسِ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الحمدي الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جاقبولا . ثم انقطع الى الله وتنصر بالقسطنطينية

بختيشوع الجندي سابوري إنه أفضل الأطباء فتقدم بإحضاره فأنفذه
العامل بجندي سابور بعد ما أسكرمه . فخرج ووصى ولده بختيشوع
بالبحارستان . واستصحب معه تلميذه عيسى بن شهلاثا . ولما وصل إلى
بغداد أمر المنصور بإحضاره . فلما وصل إلى الحضرة دعا له بالفارسية
والعربية فعجب المنصور من حسن منطقته ومنظره . وأمره بالجلوس
وسأله عن أشياء أجابه عنها بسكون . وخبره بمرضه فقال له
جيورجيس : أنا أدبرك بمشيئة الله وعونه . فأمر له في الوقت بخلة
جليلة وتقدم إلى الربيع بإزاله في أجل موضع من دوره وإكرامه
كما يكرم أخص الأهل . ولم يزل جيورجيس يتألف له في تدبيره
حتى برى من مرضه وفرح به فرحا شديدا . وكان المنصور أمر أن
يحمل إليه من الجواري الروميات ثلاث فردهن جيورجيس . فلما
اتصل الخبر إلى المنصور أحضره وقال له : لم رددت الجواري . قال :
لا يجوز لنا معشر النصارى أن نتزوج بأكثر من امرأة واحدة ما
دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها . فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد
موضعه عنده وهذا ثمر العفة . ثم مرض جيورجيس مرضا صعبا ولما
اشتد مرضه أمر المنصور بحمله إلى دار العامة . وخرج ماشيا إليه
وتعرف خبره فخبره وقال له : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في
الانصراف إلى بلدي لأنظر أهلي وولدي وإن مت فبرت مع آبائي .
فقال المنصور : إني منذ رأيتك وجدت راحة من الأمراض التي

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورْ جِيسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ لَجِيُورْ جِيسَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْأَنْهَرِافِ . وَأَتَفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَحْمِلْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَدْفِنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبُّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُورْ جِيسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرِضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحِقَهُ . فَقَالَ لِنَحْيِ بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَنْفَهُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِشُوعِ بْنِ جِيُورْ جِيسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَعَبَّاهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرِضَ جَعْفَرُ بْنُ بُحَيٍّ . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِشُوعٍ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تَخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمَهُ وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أِبْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْنِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَبَرَأَ فَأَحْبَبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُذَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ اشْتَهَرَ
حُذَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيَّ الْعِبَادِيَّ . وَنُسِبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
نَوْمٌ مِنَ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قِبَاثِلَ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورٍ ابْتَنَوْهَا بِظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَبِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ حُنَيْنٍ صَيْدَلَانِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا لَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُوِيَهٍ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ امْكِانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْخَلِيلَ ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يَوْسُفُ الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَخْتِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطِبُهُ بِالتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرَّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّرَ ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْبِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا أَنْتَ . فَوَاللَّهِ لَأَنْ مَدَّ لَهُ فِي الْعَمْرِ لَيَفْضَحَنَّ سَرَجِيسُ . وَسَرَجِيسُ هَذَا هُوَ الرَّأْسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَزَايَدُ وَعَجَائِبُهُ تَظْهَرُ فِي النُّقْلِ وَالتَّفَاسِيرِ حَتَّى صَارَ يَنْبُوعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَأَتَّصَلَ بِهِ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ . فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تُصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوًّا أُرِيدُ قَتْلَهُ . وَلَيْسَ

وَجَالِنُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مَنْ بَلَغَ مَدَاهُ
فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِ
الْمَنْظَرُ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْعَجَلَى وَالْعُجْتَى لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
الشَّخْصِ بَعِيدُ الِاهَمِّ عَالِي الْهِمَّةِ ذَكِي الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسِيهِمْ وَرَيْسِيهِمْ . وَلَهُ فِي النِّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي النَّمُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنَّئًا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مَجَالَسُهُ أَحْسَنَ
مِنَ التَّبَرِّ الْمَسْبُوكِ وَالْدَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُعْجَبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
حُرِّمَ الْإِسْلَامَ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
أَسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَوْحَادِ الزَّمَانِ هَيْبَةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
فَأَسْلَمَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شِعْرًا :
لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ
يَتِيهِ وَالْكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنَزَلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ آلِيهِ
وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَادُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُّ لَا بِي شِعْرًا :
أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقَفِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِيفِ

فَمَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي الثَّرَيَا وَهَذَا بِالتَّكَبُّرِ فِي الْحَضِيضِ
وَتُوِّفِي ابْنَ التَّلْمِيذِ سَنَةً سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمَرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بِنَعْدَادٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلِابْنِ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِّيَّاتِ ابْنِ سِينَا (الخريدة للعماد الاصبهاني) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أبو الفرج المَلَطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيْبُورِ يُوْسُ
أَبُو الْفَرَجِ بْنِ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مُحَلِّلُ الْمَشْكَلَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحِيدُ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّحَالُ بِأَرْضِ

(*) ومن اشتهر ايضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهرة . ومنهم كتيّفات
خدم البساسيري . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين ووزير قلع
ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وعالجه
وارتفعت عنده حاله . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيذياقون أخوا الجاثليق ابن
المسيحي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقّب بأمين الدولة استوثقه الامام الناصر

(*) وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستائة (١٢٦٣) لما سمع أهل ملطية ما
فعل التاتار بقيسارية هلموا وجزعوا أفحش الجزع طالبين حلب . فأمسك والذي عن الخروج
واجتمع بالمطران دينوسيوس وتشاورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في البيعة

المغرب . وأقيم أسقفا على مدينة ملطية وأخذ عنه كثير من فضلاء
المسلمين . ومن تصانيفه كتاب تاريخ مختصر الدول وهو من أشهر
التواريخ وشرح قانون ابن سينا وبشرط وديونمورس وكتاب دفع
أهم وديوان شعر في الإلهيات وغيرها (٥)

٣٧٥ (ثابت بن قرة ٨٣٦-٩٠٢) . أبو الحسن بن كرايا الحاسب
كان في مبدأ أمره صيرفيا بحران ثم انتقل إلى بغداد . واشتغل
بعلوم الأوائيل فمهر فيها . وكان الغالب عليه الفلسفة وله تأليف كثيرة
في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفا . وأخذ كتاب أقيدس الذي
عربه حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستغيبا .
وكان من أعيان عصره في الفضايل . وجرى بينه وبين أهل مذهبه
أشياء أنكروها عليه في المذهب . فرافعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه
مقالته ومنعه من دخول الهيكل فتأب ورجع عن ذلك . ثم خرج من
حران ونزل كفرنوثا وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد بن موسى من

الكيرة وتحالفوا أن لا يخون بعضهم بعضا ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من إدارة
التأثير والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فنظر الله إلى
حسن نيأهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا إليها . وفي إحدى
وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورنوين بلاد الشام واجتاز ملطية وخرب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطلب طبيباً يداويه عن مرضي عرض له . فخرج إليه والذي وسار معه إلى
حزت برت فدبره حتى برأ . ثم جاء ولم يطبل المقام بملطية ورحل بنا إلى أنطاكية فاسكنها
(٥) ومن مؤرخي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العميد
مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الراهب وابو البركات وابن المسيحي وكثيرا ما يستشهد
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن متى (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السمعاني

بِلَادِ الرُّومِ . فَأَجْتَمَعَ بِهِ فَرَّاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَزَلَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . وَعَقِبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةً أَيُّهُ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالَجَ مَرَّةً السَّرِي
 الرَّفَاءَ الشَّاعِرَ فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَيْبِ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْإِلَهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَتْهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْغَدِيرِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦ هـ) (٨٦٠ م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِي . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِي وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى بِعُلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَقِنًا عَالِمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأَلَّفَ الْخَوْنِ
 وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأَلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمُعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى سَمَّوْهُ فِيلَسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرًا لِقُسْطَا بْنِ
 لُوقَا الْفِيلَسُوفِ الْبَعْلَبَكِيِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أُنْسَاءِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدْ فِيهَا أُعْتَرِاضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ الْبِيرُونِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧١ (الصَّابِيُّ ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنُ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّابِيُّ صَاحِبُ الرِّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِمُخْتَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَلَّدَ دِيْوَانَ الرِّسَائِلِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَكَانَتْ تُصَدَّرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلِيهِ فَحَمَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ أَعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَقِيلَ لِعَضُدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّابِيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّلَاقِ وَالْتِسْوِيدِ وَالتَّبْيِضِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أَنْفُسِهَا
 وَأَكَاذِيبُ أَلْفُسِهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَتُهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمُنْظُومِ وَالْمُنْثُورِ (*) (ابن خلكان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نستغني بذكر بعضهم فمنهم ابن
 المقفع الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرّة اليتمّة ومعرّب كتاب كيلة ودمنة .
 ومنهم زكريا الافريجي المنطقي تزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبيكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عربّ كتباً كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قزما المنشي . ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرّجه في
 العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاةً للأدب . ودافع
 عن اكرام الصّور فردّت له العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الايزوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألّف عدّة تأليف فلسفيّة ولاهوتيّة فلُقّب بحجّري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعيّة داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الإسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادَهُ بِمَكَّةَ سَنَةً اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِينَ لِلْإِسْكَانْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ آمِنَةً بِنْتِ وَهَبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تُوَفِّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِحَيَاظَتِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا نَزَلُوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ اسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَبَسَارٍ اسْمُهَا خَدِيجَةُ أَنَّ
يَخْرُجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمُرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عُمُهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهاجَرَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (السَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
 إِحْتَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى الْمُكَيِّبِينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
 مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَذْرِ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
 وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَقَامِنَ أَهْلَ مَكَّةَ
 الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
 إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
 خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ
 وَكَسَرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (السَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
 إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِأَنَّهُ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
 أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَنْدَقٍ وَبَقُوا بِضِعْفَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
 وَفِي (السَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ
 مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (السَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
 الْيَهُودِ وَيُقَالُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ
 مِحْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الثَّامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفَتْحَ مَكَّةَ وَعَهَّدَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَغْلَقَ
 عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمِ
 يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
 (السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَحْتَجْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَاكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِاِثْنَيْنِ لَيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمَرُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلَمَّا
تُوِّفِيَ ارَادَ اَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ اِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ .
وَارَادَ اَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبِرَ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٣ - ٦٦٢)

خلافة ابي بكر (٦٣٣ - ٦٣٥)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللفظ . فلما أشفق
عمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر : ابسط
يدك فامايبك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولا يبيع أبو بكر ضرب
بعنا على أهل المدينة ومن حولهم . وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس : إن هؤلاء جلّ المسلمين
على ما ترى نجس فيهم النفاق وانتقضوا بك . فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .
فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة الى الشام .
ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكر الى البعث حتى أتاهم . فاشمخهم وشيئهم
وهو ماش وأسامه راكب . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله لتركبن أو لا ترلن . فقال :
لا ترلن ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الاسد العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غلب على صنعاء ومغازة حرموت الى عمل الطائف الى البحرين .
وادّعى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق . فبعث أبو بكر رجلاً
لمحاولته أو مصاولته . فدخلوا على أزد وهي امرأته فقالوا لها : يا ابنة العم قد عرفت لاء هذا

(*) وصفه علي بن ابي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر
طويل الصمت لا ينفر احداً . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير فغم الراس كث العية مشرباً وجهه
حمرة وقيل : كان ادعج العينين سبط الشعر سهل الخدين . واختلف في ازواجه قال ابو الفداء :
تزوج بخمس عشرة امرأة وولد له سبعة اولاد كلهم من خديجة الأبرهيم ابنة فانه من مارية
القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد ايها بثلاثة اشهر

الرجل عند قومك قتل أبائك وطأطأ في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم فهل عندك من مالاة عليه . فاجابت أزداد الى قولهم . ولما جن الليل ادخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو يفظ فالحموه بمسلة وأمرؤا الشفرة على حلقه . فحار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفخري)

ثم ظهر مسيلة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة . وكان يجمع لقومه باسجاع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بخنارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربه . وكان بينهما وقعت واشتد الحرب بين الفريقين . واقتمح المسلمون باجمعهم الى مسيلة وأصحابه . فقاتلهم حتى احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسيلة فرماه بحربة فوقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلًا (للطبري)

فتح العراق (٦٣٣) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلحا . وكان ذلك أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجم . وكتب أبو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم بأجنادين فانهمز الروم . وقتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه . فركبه غلامه فسقط فركبوه ثانيا فهبط ايضا وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوما ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني خلون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٥ - ٦٤٥) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٨) مصر (٦٤٠)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقام بعده بمثل سبرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين ومصر الأمصار وشهد بدرا . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس . وهابه الناس هيبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . وأما ولي الأمر لم يكن له همّة ألا العراق . فعقد لأبي عبدة بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق فعبروا اليها . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا هرا ن قائدهم . فانهزم العجم لاحقين بالمدائن ثم وتلى
يزدجرد عظيماً من عظماء مرازبتيه له سن وتجربة يقال له رستم . وعقد ايضاً لرجلي آخر يسمى
الهرمزان في جنود كثيرة . وعند الالتقاء قُتل هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالده دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأنهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعليك . وولى يد عمر انتهى
الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كله بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه وافعاله وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجاب . لم تغيره الإمرة ولم يستطل على مسلم بلسانه . ولا حابي احداً في
الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يباس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء
لخمسة بقين من ذي الحجة . وقتله أبو لؤلؤة المجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافته عشر سنين وستة اشهر . واما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا الخوي النصراني
كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب
اليه عمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعدامها . فشرع عمرو في تفريقها على حمامات
الاسكندرية واحرقها في مواقد ها . فاستيقدت في مدة ستة اشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُويع له بالخلافة في أول يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وافتتحت في ايامه أفريقية وغزاه معاوية قبرس وأقرة وافتتحها صلحاً . وانتزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمه . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلفه
باقاريه . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا قريشاً من المدينة . وبعثوا الى عثمان
من يستعبه ويقول له : إما أن تعتدل او تعتزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني انزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب الى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلاين حائط
عثمان فضربه احدثهم بمشقص في اوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته
اثني عشرة سنة . وعمره ثمانون سنة (للدميري)

علي بن أبي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً يبايعونه

فأبى . وقال : أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتُهُ . فالتَّحُوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك . ثم أَدَّى الزُّبَيْرُ بن العَوَّام وطلحة الإِكرَا . بعد ذلك وقالوا على نقض إِمارة عليٍّ . فلحق عليٌّ بهم وناجزهم الحرب وقتل الزُّبَيْرَ وطلحة . وسميت هذه الوقعة وقعة الجمل . ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج عليٌّ من الكوفة واقتتلوا قتالاً شديداً في صَفَيْنَ . ثم تحادنا واقتربا . ثم تعاهد شبيب وابن المَجِّم على قتل عليٍّ وكننا له في المسجد . فلما خرج عليٌّ ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن المَجِّم على مقدم رأسه . فدعا عليٌّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصَّاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بَغَيْتُكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحقَّ وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللظالم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة كتَب وصيَّته العامة ثم قبض . وصفهُ ضرار بن ضمرة قال : كان عليٌّ بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبرة . طويل الفكرة . يعجبه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جش . وكان فينا كأحدنا . يحيننا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه . ونحن مع تقريبه لا نكاد نكلمه هيبة له . لا يطمع القوي في باطله ولا يياسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتِلَ عليٌّ اجتمع أصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن إلى المدائن واستقرَّ بها خمسة أشهر . ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيتُ أن أسلمهُ إلى معاوية فيكون في عنقه تبعته وأوزاره . فقال له الحسين أخوه : أُنشدك الله أن لا تكون أوَّل من تاب أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بدَّ من ذلك وقد اخترتُ العار على النار . وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً . فاجابه معاوية إلى ما التمسهُ منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له لخمس بقين من ربيع الأوَّل . وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الأمويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقام له الملك وصفت له الولاية . وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيئة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المسومة . وكان كثير البذل والمطا . محسناً إلى رعيته . وهو أوَّل من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجَّاب وأوَّل من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحرا بوله في الحلم أخبار كثيرة . واعلم أن معاوية كان مربي

دولٍ وسائس أممٍ وراعي ممالك ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحد إليها . منها أنه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واختار ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتمكن أحد من تغييرها . وفي سنة خمسين سار جيشاً كثيفاً إلى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي أيامه بُنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع أهله فقال : أستم أهلي . قالوا : بلى فداك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قدي فردوها عليّ أن استطعم . فبكوا وقالوا : ما لنا إلى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء . ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفجري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠ - ٦٨٣)

٣٨٧ بويج له بالخلافة يوم مات أبوه . وكان يزيد بمحضر فقده منها وبايعه الناس . ولم يسايه الحسين بن عليّ بن أبي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسار جيشاً إلى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه واصحابه واحترقوا رأس الحسين . أما عبد الله بن زبير فلحق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار إليه الحصين بن غدير ونصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة فحرق استارها . وبينما هم كذلك إذ ورد إلى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل إلى ابن زبير يسأله المودة فاجابه إلى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان آدم جمعاً أحور العينين . بوجهه آثار جذري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثق الرغبة في اللهو والقصص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة أشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . وأما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس إلى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام إلا الأردن . ثم بويج بالأردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعتان . ثم دخل الشام فاذعن أهلها له بالطاعة . وسار إليه من قبل عبد الله بن زبير الضحاك بن قيس . فاقتتلوا بغرطة دمشق فقتل الضحاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة أشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥)

٣٨٩ بويج سنة خمس وستين بالشام . وأما ابن الزبير فبعث أخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة وأعطاه أهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار إليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما أعجب به . فبعثه إلى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جاده وحشاه تبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً قاطلاً

فقيهاً عالماً وكان ديناً . فلما تولى الخلافة استهوت الدنيا فتنير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مفرماً بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السوال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريق واذغت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبي . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ — ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧ — ٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى المعتزين وخرج المحبوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خصماً واتخذ ابن عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهاز اخاه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشئ مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واكلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متخماً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز . كان عمر عفيفاً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لابناء السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان مولى بالسم عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أمية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعمره بعده الا لمن يصلح للامر فعالموه وما امره . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وحيه شجرة من ربح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متخرباً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الابيات :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وملك نور والردى لك لازم
يفرك ما يفنى وتفرح بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكرر غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(*) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايام يزيد بن المهلب فارسل عليه اخاه مسلمة فقاتله وظفريه . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويغ له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً قاطلاً صاحب سياسة حسنة ايضاً . وسكان ذا راي ودهاء وخزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لحرهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فاسرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع العساكر وناوش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته فحمل من المعركة فمات وذفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من تبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٥)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحةً وظرفاً واعرفهم باللغة والحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشدّ مجوناً وتحتكاً واستخفافاً بامر الأمة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شرقتلة وصلب راسه على شرافات قصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسمي الناقص فتفاءل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يمتنع وبغته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويغ اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخزان واختفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلصوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويغ له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لأبي الفداء)

ثم بجواه تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وجـ	وجـ
٦٧ وصية ابن سعيد المغربي لابنه	٣ الباب الأول في التدئين
٧٣ وصية ابن طاهر لابنه	٣ عظمة الخالق وجبروته
٨٠ وصية ابراهيم الدكدي لابنه	٤ متن الشيبانية في التوحيد
٨٢ نخبة من حكم ابي عثمان لثون التجيبي	٥ قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٤ نخبة حكم اوردوها البستي في ديوانه	٦ متن بدء الامالي في التوحيد
٨٥ نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦ التجارب	٩ قصيدتان له في الابتهاال الى الله ومحمده
٨٧ الصمت وحفظ اللسان	١١ وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨ الصبر صدق النطق	١٢ قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله
٨٩ المكارم	١٣ قصيدة للبابي في التوسل والاستعطاف
٨٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس	١٥ الباب الثاني في الزهد
٩٢ لامية ابن الوردي	١٥ الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله
٩٤ نونية ابي الفتح البستي	١٧ قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨ الباب الخامس في الامثال	٢٠ زهد رجل من بني عباس
٩٨ امثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد ربّه	٢١ ذو النون والزاهدة
١٠٤ ابيات مثلية للتمني والحريري	٢٢ ذلة الدنيا
١٠٨ نخبة من الصادح والباغم لابن حجة الحموي	٢٣ زوال الدنيا
١٠٩ نخبة من قصيدة ابي العنايه المثلية	٢٧ ذكر المنية والعواقب
١١٠ الباب السادس في الامثال والاشارات	٣٣ في الدهر ونوائبه
١١٠ الملك المتروكي	٣٤ قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
١١٧ نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	٣٥ للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٧ والازهار لابن غانم المقدسي	٣٨ ما كتب على القبور
١١٨ اشارة التسميم	٤١ الباب الثالث في المراثي
١١٩ اشارة الورد اشارة المرسين	٥٨ رثاء مشاهير العرب
١٢٠ اشارة الترجس	٦٥ الباب الرابع في الحكم
١٢١ اشارة البان	

وجه	وجه	وجه
١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخط	١٢٢	اشارة البنفسج
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣	اشارة الخزام
الباب الثامن في السيف والقلم ١٦٢	١٢٤	اشارة الشقيق
فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥	اشارة السحاب
١٦٣ في الدول	١٢٦	اشارة الهزار
١٦٦ في شرف الكتاب	١٢٧	اشارة الباز
الباب التاسع في اللطائف ١٦٨	١٢٨	اشارة الحمام
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٣٠	اشارة الخفاف
١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي	١٣١	اشارة البوم
١٧٠ الصلوات والصلاة	١٣٢	اشارة الدرة
١٧١ معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٣	اشارة الديك
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٤	اشارة البط
١٧٣ الباهلي والرشيد	١٣٦	اشارة النخل
١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيدي	١٣٧	اشارة الشمع
الباب العاشر في المدح ١٨٠	١٣٨	اشارة الغراب
١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٤١	اشارة الهدد
١٨٠ مدح المأمون	١٤٢	اشارة الكلب
١٨١ مدح مقامات الحريري	١٤٤	اشارة الجمل
الباب الحادي عشر في الفخر والحماسة ١٩٣	١٤٥	اشارة الفرس
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٦	اشارة دود القز
الباب الثاني عشر في الهجو ٢٠٥	١٤٨	اشارة العنكبوت
٢٠٨ في الالغاز	١٤٩	اشارة النملة
الباب الرابع عشر في الوصف ٢١٤	١٥٠	اشارة العنقاء
٢١٤ وصف مصر	١٥٢	الباب السابع في الذكاء والادب
	١٥٢	مدح مختلف العلوم
	١٥٤	ابو تمام والمتنبى وابو عبادة الجعدي
	١٥٧	وصف القلم
	١٥٨	وصف الخط

وجه	وجه
٢٧٧	وصف دابة
٢٧٩	وصف ابليس لنفسه
٢٨٠	زهريّة صني الدين الحلبي
٢٨٢	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
٢٨٢	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٩٦	هارون بن عبد الله والفيل
٢٩٨	الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء
٣٠٥	جمدر والسبع
٣٠٩	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
٣٠٩	الباب السادس عشر في الفكاهات
٣٠٩	الطيب والخليفة
٣١١	الفضل بن يحيى والاعرابي
٣١٢	الباب السابع عشر في النوادر
٣١٢	مدينة الزهراء في الاندلس
٣١٢	عجائب مصر كالمقياس والاهرام والليل
٣١٣	عنبرة والاسد
٣١٣	ذكر القهوة
٣١٢	الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم
٣١٥	الباب الثامن عشر في المراسلات
٣١٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	في الطلب وحسن التواصل
٣١٦	في الاشواق
٣١٦	فصول في العتاب والاعتذار
٣١٧	فصول في الذم
٣١٧	فصول في التوصية
٣١٧	فصول في المدح والشكر
٢٧٧	فصول في التهنة والهدايا
٢٧٩	فصول في التغرية
٢٨٠	فصول الى عليل
٢٨٢	الباب التاسع عشر في التراجم
٢٨٢	شعراء النصرانية
٢٩٦	خطباء النصرانية
٢٩٨	مشاهير اطباء النصرانية
٣٠٥	مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية
٣٠٩	الباب العشرون في التاريخ
٣٠٩	صاحب الشريعة الاسلامية محمد
٣١١	الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر
٣١٢	خبر الاسود العنسي ومسيلمة الكذابين
٣١٢	فتح العراق والشام وموت ابي بكر
٣١٢	خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر
٣١٣	عثمان بن عفان
٣١٣	علي بن ابي طالب
٣١٢	الحسن بن علي بن ابي طالب
٣١٢	دولة الامويين خلافة معاوية
٣١٥	خلافة يزيد بن معاوية
٣١٥	معاوية الثاني ومروان بن الحكم
٣١٥	عبد الملك بن مروان
٣١٦	عبد الوليد بن عبد الملك
٣١٦	سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
٣١٧	يزيد الثاني وهشام
٣١٧	الوليد الثاني ويزيد الثالث
٣١٧	ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني

